
JAFET LIB.
11 JAN 2016
Circulation Dept. 4

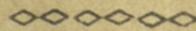
4
A

نحن واسرائيل



تأليف

بشاره جميل المر



الطبعة الاولى

مطبعة الانصاف — بيروت



المقدمة

طرقنا موضوعاً طرقه آخرون كثيرون. ففي قراءتك لهذا الكتاب تجد بحثاً وتفصيلا دقيقاً لقضية اسرائيل في الفصول الاولى، ثم تحليلا منطقياً ونقداً فلسفياً لأهم الامور التي تتداولها الالسن الناشئة، والعقول المفكرة، والاحزاب المتحزبة.

يهمنا قبل كل شيء ان نعلن للقراء ان كتابنا هذا مجرد عن اي فكرة او غاية تحزبية، فان وجدت به فكرة يتبناها الحزب القومي السوري، او حزب البعث الاشتراكي او العروبة، او اي حزب آخر، يكون ورودها مستقلا عن الرجوع الى تلك الاحزاب ان لم نذكر ذلك.

لم يكن بد من التفضيل بين فكرة يتبناها حزب من هذه الاحزاب، وفكرة مقابلة يتبناها الحزب الآخر، وتحاشينا قدر المستطاع التفضيل الأجمالي، لانه خطأ ولا يعتمد على اساس علمي صحيح.

وان فضلنا العروبة على غيرها فقد فضلناها لميزة مبادئها الهادفة لوحدة كبرى، وسوف يرى القارىء بحث هذا الموضوع ضمن الكتاب باسهاب.

اعتمدنا في تأليف هذا الكتاب على اكثر من مائة وعشرين كتاباً في الاقتصاد والسياسة والاجتماع، عدا

النشرات والجرائد والمعلومات العامة والاذاعة وقد اعطينا لكل مصدر وزنه ، فلم نغفل عن الغث ، ولم نذهل عن السمين .

ومما يسرنا اننا لم نتجه اتجاها واحدا في بحثنا ، فقد تناولنا الكتب الاجنبية المضادة قبل لجوئنا الى المقالات العربية. ونشكر في هذا السبيل الكثيرين من الاصدقاء الذين انتقدوا بعض الاراء لغموضها فاضطرونا لتوسيعها. ونشكر على الأخص الاستاذ نجيب صعب لبعض اقتراحاته الهامة.

نرجو من القارىء ان اراد قراءة هذا الكتاب ان يتجرد عن التحزب لفكرة سبق انتماؤه اليها ، وان ينظر الى ما يقال نظرة الفاحص الناقد المستفسر . ونحبذ روح النقد الباني الذي يعتمد على قوة الحجة والبيان ، دون النقد الهادم الذي لا يعتمد الا على التحزب والعناد.

والله ولي التوفيق ،

الجامعة الاميركية – بيروت في تشرين الاول ١٩٥٥

بشاره جميل المر

الجاهل الصامت عالة

والعالم الصامت مجرم

بحق المجتمع

الفصل الاول

تمهيدات الى صهيون

من اهم العوامل التي ادت الى الحرب العالمية الاولى تكالب الدول الاجنبية للسيطرة على الشرق الادنى لما له من اهمية في التجارة ، ولانـــه الطريق المؤدي الى البلاد الآسيوية حيث الاسواق ، وحيث الاموال ، وحيث المواد الخام .

اخذت تنظر البلدان الغربية من وراء حدودها الى الشرق الفتى ، الذي لم تعبث به بعد ايدي المطامع والمطامح الانسانية . ولذلك ناء هذا الجزء من العالم اكثر من غيره تحت اقدام الغزاة من كل جيل : من مكدونيا ايام الاسكندر ، الى روما وتوسعها ، الى حروب البلقان ، الى مطـــامع نابليون ، الى الاتراك ، الى الافرنسيين والانكليز وغيرهم .

اما بريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا والمانيا فقد كانت دائما في نزاع سري مستمر للسيطرة على هذا الشرق . ارادوا طريقا عالميا لتجارتهم ، طريقا لا غنى عنه لمن يريد السيطرة على الشرق وغناه . وقد كان الالمان يحسدون

الانكليز الذين سيطروا على الهند ومنتوجاتها والذين لو استطاعوا لما قصروا عن امتلاك آسيا باجمعها . ارادت المانيا ان تسيطر على هذه البلاد حتى تتمكن من قطع خط الرجعة على الانكليز الذين يستعملونه طريقا في تجارتهم . ولذلك ركزوا اهتماما عظيما لمحالفة تركيا، ووضعوا عددا كبيرا من خبرائهم ومهندسيهم ورجال اعمالهم فيها ليراقبوا اعمال الانكليز عن كثب .

هددت هذه الاعمال مصالح بريطانيا ، ولم تكن بريطانيا على جهل من هذا التحدي ، فقد عرفت انها اذا فتحت مجالا للبضائع الالمانية في آسيا كسدت بضاعتها وقلت ارباحها . هذا عدا عن التأثير السياسي المؤكد حدوثه بعد ذلك.

وقفت بريطانيا لالمانيا بالمرصاد . هذا ولم يخف على روسيا ما حصل بينهما ، ولم تنس ايضا ان هاتين الدولتين تهددان مصالحها ومطامعها .

بقيت الحال هكذا حتى وقع حادث سيراجيفو الذي لم يزد عن كونه شرارة لكومة من الكراهية والحسد والبغضاء التي تكنها كل دولة الى الاخرى . لم تكن فرنسا على حياد ، فقد اعلنت مرة حقها في امتلاك سوريا وفلسطين حتى حدود مصر . والذي اعلن هذا من الجانب الفرنسي هو « بيكو » . لم يوافق « سايكس » الانكليزي على ذلك وطلب من فرنسا ان تعقد اتفاقية فيما بينهم يقتسمون بها الاراضي العربية بالعدل والقسطاس !

وكانت معاهدة سايكس وبيكو المشؤومة حيث جعلت فلسطين بلدا عالميا ، ما عدا حيفا وعكا لتكون تحت الحكم البريطاني ، واعطي قسم آخر لفرنسا ومركزها دمشق وحلب والموصل . كان هـذا عام ١٩١٦ اي في منتصف الحرب العالمية الاولى .

وعـد بلفور

بعد هجوم صاعق قامت به القوات التركية على قنال السويس عام ١٩١٧ ، رأت انكلترا اهمية حفظ هذا القنال من العدوان فزادت الجيش والعتاد فيه . ورأت بعد ذلك انها اذا استطاعت السيطرة على ساحل المتوسط الشرقي وعـلى هضاب وجبال فلسطين ، سهل عليها الدفاع عن القنال . ولكونها بحاجـة الى اموال ومساعدات خارجية ارادت ان تلعب لعبة لم تتوقع ان تكون نتائجهـا خطرة . وان كانت خطرة فما همها من ذلك اذا كسبت الحرب وكسرت شوكة المانيا ؟

وبذلك بدأت بريطانيا تتحسس الرأي العام البريطاني واليهودي ، وقد كانت النتائج مشجعة حتى انها اعلنت سراً انها تود ان تجعل من فلسطين اسرائيلا تساعـد عـلى حفظ قنـال السويس من اخطار الهجوم . ليس ذلك فقط ، فقد جربت انكلترا ان تشرك الولايات المتحدة في الحرب لانها تعتقد ان ما تقوم به انما هو دفاع عن حقوق الانسان !

اخذت جميع الدول تسترضي اليهود عندئذ لما لهم من

نفوذ مادي وجاسوسي بين الامم. حتى إن المانيا نفسها قد جربت اقناع هرتسل فيلسوف الصهيونية الاول بانها تسعى الى تحقيق اهدافه لاقامة دولة اسرائيل في فلسطين. وكثيراً ما القيت المناشير والبيانات بين صفوف اليهود يقنعهم الالمان بها ان ربح الحرب قد يعني قيام دولة اسرائيل. وكان القيصر الالماني يعد نفسه حامي اليهود ومعيدهم الى ديارهم.

عندما شعر الرئيس ويلسن بذلك، صرح انه يحبذ فكرة قيام دولة يهودية. وعندما علم زعماء اليهود بالامر اخذوا يتحدون وينضمون الى جمعية هرتسل المسماة بالجبهة الصهيونية.

لم تكتف هذه الجبهة بالوعود الكلامية فقط، بل طلبت اعترافاً رسمياً يحبذ او يتعهد لليهود بقيام دولة اسرائيل.

· لذلك قامت هذه الجبهة بعدة زيارات الى جميع الدول الاوروبية ذات النفوذ العالمي، والقت مناشير وبيانات تحث الرأي العام لمعاضدتها ومؤازرتها.

وكانت هذه الدول تشجع الجبهة الصهيونيـــة من الناحيتين : المادية والمعنوية. فلم تقصر اميركا عن مدها بالدولارات ولم تقصر انكلترا عن تزويدها بالوعود، حتى ولم تقصر المانيا عن دفع التعويضات الحربية تحت ضغط الدول الاوروبية. ولم تفتأ روسيا مساعدتها تحت ستار كثيف من السرية، وكان انها سياسة خاصة تنتجها مع اسرائيل.

كان بين اليهود من قاوموا هذه الفكره ومنهم الشيوعيون الذين رأوا في هذا العمل تهديداً لمصالحهم وآرائهم ، وكان بينهم ايضاً المتمولون الاغنياء الذين لا هم لهم سوى المال ، وكان في الجبهة الاخرى المتدينون الذين ينتظرون المسيح في ارض الميعاد ، وكان الساسة الطموحون يودون قيام دولة ليظهروا مقدرتهم الشخصية ، وكان الشعب المضطهد الذي اراد ان يملك نفسه وان لا يكون عالة على غيره ورحمة تحت ايدي اعدائه.

وكانت النتيجة ان وافق اليهود اخيراً على هذا المشروع وقدموا طلباً يطلبون من انكلترا الاعتراف الخطي. واود ان اذكر في هذا السبيل التأييد الذي لاقاه هذا المشروع من قبل جميع الدول الغربية بالاشتراك مع روسيا - ما عدا قوات المحور والدول الحيادية - وكان تايدهم تمهيداً لمصالحهم الانانية دون النظر الى مصلحة العرب الذين يسكنون ارض الميعاد - فلسطين .

ياله من كرم حاتمي قامت به هذه الدول ، وياله من استهتار بحقوق الانسان تجلى في الفكرة التي قام بها الغرب وسعى الى تحقيقها.

ماذا كانوا يعنون بحقوق الانسان ؟

هل عنوا بالانسان الانكليزي والفرنسي والروسي والاميركي واليهودي فقط؟ اليس العربي انساناً خليقاً بهذه الحقوق؟

حصل كل هذا والعرب في سبات عميق. كيف لا وقد غفلوا تحت الحكم التركي مدة اربعة قرون!

تضافرت جهود هذه الدول التي اشفقت على اليهود مع جهود الصهيوني الاول الذي الف الجبهة الصهيونية عام ١٨٩٧ ولم يعمر كي يرى نتيجة عمله.

شاهد هرتسل قصة الخائن اليهودي درايفوس، واحس بكراهية الشعب الفرنسي للخونة اليهود. واشفق على شعبه المضطهد، وفكر ان الحل الوحيد لجميع مشاكلهم هو ارض الميعاد. وآمن ان السياسة والمال يستطيعان تأمين معاونة القوات الكبرى، واكد ان باستطاعته اقناع السلطان بقيام دولة صهيونية في فلسطين. لم يوافق السلطان على ذلك، فانتظر حتى وعدته بريطانيا بالمساعدة.

زاد الاضطهاد الصهيوني ولم يجد هرتسل حلا لمشكلة ابناء امته الذين تضطهدهم الدول في كل مكان. واسباب الاضطهاد واضحة: فاليهود عنصر لا يتفاعل مع غيره من العناصر. شعب رغم تقدمه الثقافي والمادي منطو على نفسه لا يتعامل مع الآخرين من غير دينه، واذا عاملهم، فذلك لحسابه الخاص ومنفعته الذاتية. وقد صدق شكسبير بجعله شيلوك في روايته رجلا يهودياً. شعب يتضامن في سبيل احياء عقيدته ولا يأبه بالنتائج.

انظر الى اليهود في جميع انحاء العالم، الا تراهم يعيشون في احياء منعزلة؟

الم تعطهم فرنسا حقوقهم بعد الثورة كشعب على انهم ابوا الاندماج مع الفرنسيين ؟

الم تعترف اميركا بحقوق الاقليات ومع ذلك بقي الشعب اليهودي منعزلا في احياء خاصة ؟

الم يكن اليهود ايام النبي عنصراً فاسداً يضيق عليه الخناق ؟

الم يعيشوا في احياء منعزلة في القرون الوسطى في اسبانيا اسموها بالغيتو ؟

الم يكونوا سبباً من الاسباب التي أدت الى انهيار الدولة الاسلامية في اسبانيا لخيانتهم ؟

الم يضطهدهم هتلر خلال الحرب لانهم خونة مارقون ؟

وماذا تقول عن خيانة درايفوس في فرنسا ؟

هذه هي الحوادث التي مـــرت بذاكرتي . ولو اردنا الاستشهاد بما قام به اليهود في الازمنة السابقة لاحتجنا الى مجلدات تقص اروع حكايات الخيانة والعنصرية الدينية الرجعية.

عندما قدمت انكلترا اقتراح اسكان اليهود في مقاطعة اوغندا في افريقيا وافق هرتسل ، على ان اليهود وخاصة الذين كانوا يعيشون في اوروبا الشرقية لم يقبلوا ، واعلنوا انهم يريدون اما فلسطين ، او لا شيء .

اخذ اليهود يفدون الى فلسطين زرافات ووحدانا كي يعيشوا في ارض ميعادهم. وانتهزوا جميع الفرص، حتى كانت

الحرب العالمية الاولى ، حيث وجد اليهود في الدكتور وايزمن خلفاً لهرتسل.

وكما قامت ايطاليا على اكتاف جاريبالدي الجندي ، وكافور السياسي ، وماتزيني الشاعر المتدين ، كذلك قامت اسرائيل على اكتاف هرتسل الفيلسوف ، ووايزمن السياسي وحاييم ابي الصهيونية الروحي .

كان كل يهودي يعد نفسه مسؤولا عن دولة اسرائيل المزعومة آنذاك ، حتى كان وعد بلفور سنة ١٩١٧ . وعد يتضمن في زواياه الخبث وانتهاك حرمة حقوق الانسان ، وفي نواياه محبة الذات والانانية والاستهتار . ولا اريد اطالة التعليق بل سأشرح بعض نقاط هذا الوعد الاكثر اهمية(١)

يتضمن وعد بلفور الامور المهمة التالية :

١ – سوف يضع الانتداب البريطاني جهوده في جعل الارض المنتدبة – فلسطين – تحت ادارات سياسية وادارية واقتصادية مما يسهل تأسيس دولة يهودية مستقلة ، مع العلم ان تبقى حقوق سكان فلسطين الاسبقين محفوظة ، دون النظر الى الفروق الدينية والاجتماعية وما اشبه .

٢ – الاعتراف بالوكالة الصهيونية كجمعية تتكلم بلسان يهود فلسطين ولها الحق ان تتعلم من المنتدبين البريطانيين كيفية

---

١ – وعدت بريطانيا اليهود باسرائيل لمساعدتهم المالية والتجسسية خلال الحرب . وكان حاييم وايزمن المذكور قد اكتشف طريقه يستخرج بها الخلون (والاسيتون) بواسطة التخمر ، فلم تقصر بريطانيا بمد يد المساعدة عندما ارادها.

الحكم والادارة خلال الانتداب ، وان تكون الوكالة خاضعة للحكم البريطاني خلال هذه المدة . هذا كي يتسنى لليهود ادارة اسرائيل عندما يجلو عنها الانكليز . وهكذا يمكن للجبهة الصهيونية ان تتسلم هذه القضية وتصبح هي الوكالة اليهودية .

٣ - هذا وسوف تسعى بريطانيا مع يهود فلسطين والوكالة اليهودية المذكورة آنفاً لاجل تعزيز الهجرة الصهيونية الى فلسطين .

٤ - تتعهد الادارة الحكومية البريطانية ان تساعد الوكالة اليهودية للقيام بمشاريع عمرانية ، وتشجعها على الاستفادة من المواد الخام في ارض فلسطين ، شرط ان لا تكون هذه المشاريع قد قامت ، او تود بريطانيا القيام بها .

٥- سوف تسعى بريطانيا لحفظ حقوق كل السكان في ارض فلسطين دون استثناء ، وسوف تضمن انتشار المدارس والمستشفيات والكنائس والجوامع الخ ...

٦- تعد الانكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية الثلاث لدولة اسرائيل (١)

وفي نفس الوقت سنة ١٩١٧ ، اصدرت انكلترا وفرنسا بياناً للعرب تقول فيه :

بعد ان تنتهي الحرب بخسارة المانيا وحليفاتها ، تتعهد

---

١ - اخترت هذه البنود لتعلقها بالموضوع وتفاديا لاطالة الشرح . وهي مترجمة عن النسخة الانكليزية الاصلية لوعد بلفور .

انكلترا وفرنسا ان تعطي العرب حرية الحكم الذاتي وتضمن لهم خلاصهم من نير الاستعمار التركي. ووعدت الملك حسين بدولة عربية، حرة التصرف بادارتها، وسياستها واستقلالها.

ولا يخفى ان ما قاله الامير فيصل لفرانكفورتر عند ذاك ينافي الرأي العربي العام، فقد قال:

«نحن العرب، وخاصة المتعلمين منا، نحبذ فكرة الصهيونية ونحن على معرفة تامة بمتطلبات الجبهة الصهيونية ونعتبرها صحيحة ومعقولة. وسوف يعمل العرب جهدهم في سبيل مساعدة هؤلاء اليهود على الدخول الى فلسطين».

لم يعن الامير فيصل قيام دولة اسرائيل في فلسطين، بل اراد تحمل مسؤولية مساعدة شعب مشرد مضطهد، وكان ظنه ان تقتسم الدول هذه المسؤولية حتى ولو نال العرب القسم الاكبر من هذه المسؤولية.

حدثت معظم هذه المشاكل بين الحربين العالميتين، واصبحت فلسطين مشكلة العرب، وقصة الغرب. وعندما احس عرب فلسطين ان الانتداب قد اوشك على الانتهاء انتفضوا يطالبون بحقوقهم واهليتهم الحكم، وقامت الدول المجاورة تمد السنة المساعدة من كل جانب، ولا اود ان اقول يد المساعدة.

واننا نعدالدول العربية وحدها المسؤولة عن جريمة فلسطين وليس اليهود ما دام العيش في هذا العالم تنازع في سبيل البقاء. وقد ركز عرب فلسطين اعينهم على الجامعة العربية كالمخلص

الوحيد من براثن الصهيونية . اما الوكالة اليهودية ، او بالاصح العصابات الصهيونية فقد استمدت مساعدتها المادية من يهود العالم وخاصة يهود اميركا والمعنوية من اميركا ، صديقة العرب !

كانت الجمعيات الصهيونية تتجول في اميركا معلنة حق اليهود في امتلاك اراضي آبائهم واجدادهم . جمعت هذه الجمعيات مبالغ طائلة من الاموال في سبيل الانسانية ، وكانت تشتري بها سلاحاً تطعن به عرب فلسطين .

اما العرب ، فقد ارادوا دولة عربية مستقلة لا شأن لليهود بسياستها البتة ، واراد اليهود دولة صهيونية مع اقلية من العرب .

كانت فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ اكثر البلدان العربية تقدماً ثقافياً وسياسياً واجتماعياً ومادياً ويرجع الفضل في ذلك الى الحكم الاداري البريطاني المنظم ، وتضافر جهود العرب واليهود ، ووجود المصانع ومعامل التكرير والزراعة المتقدمة في بعض المناطق ، والتجارة الواسعة ، ومركز فلسطين .

بقيت الحالة في فلسطين على وئام تام رغم ظهور بعض التوترات الداخلية من حين الى آخر حتى انفجرت علناً سنة ١٩٣٥ وادت الى الثورة . ذلك لان العرب احسوا بمساعدة الانكليز لليهود دون العرب في كثير من

الحقول (١) :

ساعدوهم على الهجرة واسكنوهم اجمل المناطق ، وكانوا يسهلون بيع الارض من العرب الى اليهود بطريقة سريعة كي يشجعوا البيع . وكان معظم اليهود يشترون الاراضي بثمن يزيد على سبعـة اضعاف ثمن الارض الحقيقي . طمع العرب واخذوا يبيعون لجهلهم اراضيهم لليهود ، ولم يعلموا انهم لا بد سيطردون من وطنهم ان فعلوا ذلك .

لذلك تألفت عدة عصابات عربيـة ارهابية في فلسطين تقتل كل من تخوله نفسه بيع اي ارض او عقار ليهودي . فاضطرت الحكومة اخيراً الى منع بيع الاراضي ، ولكنها لم تنجح حيث كانت تحصل المبيعات سراً .

وبالرغم من تحديد الهجرة الصهيونية بعدد معلوم شهريا ، فقد كنا نشاهد البواخر القديمة تأتي الى حيفا وتغرز في رمال الشاطىء ، وينزل ركابها في الزوارق ليلا الى الاحياء اليهودية في بيت غاليم حيث كان اليهود يستقبلونهم بصدر رحب كانهم افراد عائلة واحدة .

لم تكن انكلترا على جهل من هـذا ، وكانت تعمل تحرياتها علناً ، وترميها في سلة المهملات سراً .

ولا بد ان اذكر ما قام به الانكليز من خيانات ضد العرب وما اهمله الكتاب والمؤرخون .

---

١ - دعيت هذه الثورة بثورة سنة ١٩٣٦ . لا يمكننا ان نضع حداً فاصلا ، لان الثورة لم تكن مفاجئة ، بل كانت سلسلة متصلة الحلقات .

كان الانكليز يمنعون التجول عندما تصلهم صفقة من الصهاينة المهربين ، ويجازون كل من تخوله نفسه الاستطلاع عما يحدث في الشوارع . وبعد ذلك يسوقون اليهود المهربين كالاغنام الآمنة الى الهادار هاكرمل وهو الحي اليهودي الاعلى في حيفا. كيف تمكن الفلسطينيون الوقوف ازاء هذه الاستهتارات

وكيف امكنهم تصديق الانكليز بانهم سيسمحون لهم بالحكم الذاتي في فلسطين ؟

بذلك باتت سياسة انكلترا ، تلك السياسة التي اصبح يعرفها الطفل الصغير : سياسة التضليل والخبث . فان ما فعلته بريطانيا خلال الحرب العالمية الاولى بوعدها بفلسطين الى كلا العرب واليهود لبرهان واضح على سياستها . والحقيقة هي انها لم تعد بفلسطين لا للعرب ولا لليهود .

ربما ظنت انها تستطيع بذلك السيطرة على فلسطين مدة اكثر بحجة حفظ الامن في الاراضي المقدسة . وهذا ما كاد يحدث فعلا لولا حسد الدول الاخرى لهذا المركز الدافىء وقيام العرب واليهود يطالب كل منهما لتحقيق وعوده.

كان الوعد لليهود هو وعد بلفور السابق ذكره . والوعد للعرب هو الوعد للملك حسين قائد العرب ، عندما ثار ضد الاتراك الذين حالفوا المانيا ضد بريطانيا .

وكما طالب اليهود بفلسطين كدولة لهم منذ القدم ، قبل ان قوض الاشوريون اسرائيل الشمالية ، وقبل ان احتل الرومان الولاية اليهودية ، كذلك طالب العرب بعد ان تخلصوا من

النير العثماني تكوين دولة عربية (جغرافياً على الاقل) التي كانت فيما مضى امبراطورية امتدت من اسبانيا ، على سواحل افريقيا الشمالية ، حتى ضفاف الاندوس في الشرق .

اما اذا اردنا النظر الى حق الامتلاك تاريخيا كما نظر اليه اليهود فسوف نجد ان حق الامتلاك يرجع الى عرب فلسطين الذين سكنوها لمدة لا تقل عن ١٣٠٠ سنة دون ان يحتلها غيرهم من الشعوب .

* * *

واذا اعترض قائل ان المسلمين انما فتحوا البلاد عنوة وعدوانا والحق الاساسي في الامتلاك يرجع الى اليهود ، نرجعه الى التاريخ القديم ونسأل :

الم يكن هناك شعب سكن فلسطين قبل ان اتى اليهود؟

ثم، الم يكن اليهود اجانب دخلاء لجأوا الى فلسطين وهم في طور البداوة؟

الم يكونوا رعاة؟ الم يسمى ملوكهم ملوك الرعاة ؟

ان اللجوء الى مثل هذه الحقائق التاريخية يعطي الرد العلمي الوحيد الذي لا يقبل المكابرة من قبل الذين يقولون ان فلسطين هي ارض اسرائيل قديما ، ويجب ان تكون وطنهم اليوم .

ان فلسطين قطعة طبيعية من وطن اكبر، وواقع الاوطان طبيعي لا يتغير، ولو تبدلت الشعوب والعناصر النازلة فيه.

فلو امتزج اليهود آنذاك بسكان الارض الاصليين لما كانت مشكلة فلسطين الآن، ولما تشتت هذا العنصر الفاسد القرون الطويلة، يركله كل شعب واع مدافع.

عرف الغرب هذه القصة وعرفها كل عاقل حكيم، وعرفها كل مؤرخ، وعرفها الحق. وهل يقف الغرب إزاء هذه المشكلة وقفة من يعترف بحقوق الانسان؟ ام ينظر اليها نظرة الاناني المستهتر؟

وكانت النتيجة انه يعترف بحقوق الانسان قولا، وينتهك حرمته فعلا.



قالوا الحاجة أم الاختراع

ونقول الحاجة أم الحياة

الفصل الثاني

— وقت حرج —

منيت بالفشل المحاولات التي قام بها اليهود لانشاء دولة يهودية ايام الامبراطور الروماني هدريان . واخذوا يتقاعسون في تباشيرهم الدينية عند ظهور الاسلام . وبذلك انكمش اليهود على انفسهم ، واخذت تتقاذفهم الدول على ممر التاريخ ، فاصبحوا مشتتين مشردين في جميع انحاء العالم .

لم يسبب هذا التشتيت على مر الآف السنين موت امتهم لانهم كما ذكرنا سابقاً عنصر لا يتفاعل مع غيره . فالعربي في فلسطين لم يجد مانعاً من ان يتزوج يهودية ، على اني لم اسمع الا نادراً ان يهودياً قد تزوج عربية .

اليس هذا غريباً ؟

اليس هذا دليلا واضحاً على انهم حافظوا على تقاليدهم ، ومعتقداتهم ، ووحدتهم العنصرية ، على ممر الاجيال بالوراثة ؟

وكان يوم ضجت به الهادار في حيفا وتل ابيب وجميع المستعمرات اليهودية عام ١٩٤٨ حيث ارتفعت في السماء اعلام لم يرها العرب من قبل ، **اعلام بيضاء تتوسطها نجمة زرقاء مسدسة الزوايا.**

كان هـذا اعلان دولة اسرائيل . ومن هنا بـدأت الاحوال تتطور . وقبـل البحث في عـام ١٩٤٨ اود ان ارجع ثلاثة اعوام الى الوراء التي مهدت السبيل لما حدث في هذه السنة .

لا نستطيع بالضبط تحديد وقت معين ساعد اسرائيـل عـلى النهوض ، فقـد كانت فكرة اسرائيل في رأس كل يهودي تقريباً منذ ان كانوا في مصر ايام يوسف ومن قبله. ولكننا نهتم بالسنوات الاخيرة ، لانها كانت اكثر فعاليـة من التي سبقتها .

بقيت فلسطين في حالة اضطراب منذ سنة ١٩٤٥ حتى سنة ١٩٤٨ عندما بدأت الحرب .

وفي خلال هذه المدة كانت العصابات اليهودية هي الحاكمة مثل الارجون زفاي ليومي ، وهي المسؤولة عن نسف فندق الملك داوود بالقدس ، والقاء القنبلة في القنصلية البريطانية ، ومجزرة دير ياسين . ورئيس هذه العصابة هو (مناحيم بيغن) وتقول الاشاعات حوله انه جندي فار من الجيش البولندي وانه كان عميلا للسوفيات في اسبانيا ، على ان بيغن نفسه ينفي هذه الاشاعات لما لها مساس في كرامته .

عصابة اخرى منظمة هي عصابة الهاجانا وكان يشرف على تمويلها مجلس الوكالة اليهودية المعترف به ، والتي اصبحت فيما بعد جيش اسرائيل المنظم . واما عصابة شتيرن فهي

العصابة المنتقمة ، عصابة التخريب والارهاب (١) .

كانت هذه العصابات تنتقم لاقل بادرة فيها مساس بصالح اسرائيل . فقد كانت تضع الالغام في المراكز الحكومية الهامة وكانت تهدم الجسور ، وتخرب الطرقات ، وتقتل ، وتسرق ، وتنهب دون رادع . وهذه العصابات وحدها هي المسؤولة عن قتل الوسيط الدولي الكونت برنادوت .

لم يكن لدى العرب عصابات مثل هذه ، ويعود السبب في ذلك الى سيكولوجية الشعب الفلسطيني بالذات (٢) .

كان يعيش الفلسطينيون في رخاء ، وكان معظمهم في درجة

---

١ – تعني الارغون – المنظمة العسكرية الوطنية وهم يتهمون الهاجانا (ومعناها قوة الدفاع) التابعة للوكالة اليهودية والمعترف بها ، بالاعتدال . اما منظمة شتيرن فقد كانت تابعة للارغون وانفصلت عنها وسبقتها تطرفاً . والجدير بالذكر ان الهاجانا كانت تكره عصابة الارجون الى حد الوشاية باعضائها الى الانكليز ، ولكن بيغن كان حكيماً ولم يعادها لان هدفه كان اقامة اسرائيل باي ثمن .

تضامنت كل هذه الاحزاب عند اعلان الحرب ضد العرب وتغلبت عليهم . اما الاحزاب الاخرى في اسرائيل فهي عديدة : ومنها الماباي (حزب العمال) والمابام (حزب العمال الاشتراكي اليساري) ومن الاحزاب العمالية ايضاً هي هاشومر هاتسبعر والهستدروت وبوعلي زيون . امـا الحزب المزراحي فانه يحافظ على العادات والتقاليد العبرية الشرقية . وحزب التقدميين الصهيونيين يضم يهود اوروبا الوسطى ، وحزب الاغودات حزب ديني متطرف . زيادة على ما ذكر تألفت احزاب عديدة عرفت بالحزب المناضل والحزب الشيوعي اليهودي والحزب الشيوعي الفلسطيني والحزب الماسوني الخ ..

٢ – اما العصابات العربية فلم تكن تمثل الرأي العربي العام في فلسطين . وكانت هذه العصابات تضغط على السكان العرب عندما كان هؤلاء يرفضون مساعدتهم .

متوسطة من العيش، اما الطبقة الفقيرة التي كانت تسكن فلسطين فهي فئة المرتزقة من البلدان العربية المجاورة، جاءت الى فلسطين طلباً للرزق.

لم يكن الفلسطيني يطمع بالسياسة لانه لم يكن بحاجة اليها. ويرجع السبب في ذلك الى قدرة الحكومة البريطانية في ادارتها حتى انها لم تكن بحاجة الى اي مساعدة خارجية، لا من قبل العرب ولا من قبل اليهود. وكان العربي في فلسطين يقرأ جريدة الصباح على سبيل التسلية فقط (١).

كان يعيش القرويون على ما تنتجه مواشيهم واراضيهم الزراعية فيستهلكون ما استطاعوا ويصدرون الباقي الى المدن مثل حيفا وصفد والناصرة ويافا وتل ابيب والقدس الخ.. وكانوا يعلمون ابناءهم في المدارس الحكومية، اما في القرى نفسها او في بلدة بالقرب منها. وان نسبة المتعلمين الفلسطينيين للذين تقل اعمارهم عن العشرين سنة الآن اكثر من اي بلدعربي آخر (٢).

والسبب الآخر لعدم تأليف احزاب في الصفوف العربية تعادل ما قامت به القوات الصهيونية هو عدم وجود القادة الاكفاء للقيام بهذه الاعمال الحربية. فبينما كان المزارع منهمكاً في ارضه كان المدني منهمكاً في تجارته وصناعته ولم يفكر قط باستعمال سكين او بندقية، بينما كان معظم

---

١ - اعني الفئة الكبرى.

٢ - اثرت الهجرة على الشعب الفلسطيني فتهافتوا على العلم اكثر من تهافتهم في السابق.

اليهود ممن اختبروا الحروب والاعمال الحربية والعصابات والجاسوسية .

كانت الولايات المتحدة تساعد الزعماء الصهيونيين في قيام دولة اسرائيل . وسوف اترك لهذا الموضوع بحثاً خاصاً . وكانت بريطانيا ايضاً احدى الدول المساعدة تحت ستار سري كثيف .

ونحن لا نلوم الحاج امين الحسيني عندما ادلى بمعلومات حربية الى الالمان اعداء الحلفاء آنذاك .

فعل ذلك لانه علم تماماً ان الحلفاء اعداؤه ولو كانوا يتظاهرون بالصداقة . والبرهان على ذلك هو ان انكلترا كانت تساعد المدارس اليهودية اكثر من عنايتها بالمدارس العربية .

وقد فكر بعض زعماء الصهيونية ولم يستطيعوا التصريح ، انهم اذا تعاونوا مع عرب فلسطين ، لاصبحت فلسطين جوهرة متلالئة على شاطىء البحر الابيض المتوسط .

علم اليهود تمام العلم ان عرب فلسطين لن يقبلوا بالتعاون على اي حساب ، وقد اظهر العرب غضبهم هذا عندما اعلن التقسيم .

كيف يمكن ان يتعاون العربي مع عدوه اللدود ، وكيف يتعاون مع شعب حيادي يحب الانفراد والانطواء على نفسه ويرى ذاته احسن من غيره مقاماً واعلى مركزاً ؟

وكان السبب الذي قدمه اليهود بعد ان رفض العرب

التقسيم بحق ملكية فلسطين وانشاء دولة اسرائيل هو اولا: حق ملكية فلسطين لانها مهد الحضاره الصهيونية ولانها الارض التي وعد بها التوراة ، وثانياً : تتميم الوعد الذي قامت به بريطانيا ، وما تضمنه وعد بلفور .

كانت الوكالة اليهودية في فلسطين تحتج على بريطانيا لانها حددت الهجرة خلال الحرب ، والسبب في ذلك كما صرحت بريطانيا للعرب انها لا تريد تهييج الرأي العربي العام . وكان تصريحها لليهود هو ان بين اليهود الفارين جواسيس للاعداء لا يستطاع التمييز بينهم . وبذلك اوقفت بريطانيا الهجرة لمدة من الزمن تخللها بعض التهريب الحلال !

قبل العرب في فلسطين اسكان اليهود الموجودين فيها شرط ان تمنع الهجرة لانها ارض لا تتسع لجميع اليهود .

تكهن العرب انه اذا استمرت الهجرة اليهوديه اجبر السكان الى تركها مكرهين .

اجتمع مجلس الامن الدولي واللجنة السياسية في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٧ للبت في شؤون فلسطين. وقد سمح المجلس للوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا بالحضور شرط ان تقدم كل منها برهاناً على قدرتها على تمثيل الشعب المدافع عنه والمطالب بحقوقه.

اقترحت اميركا في هذا الاجتماع تأليف لجنة تحقيق من الدول الصغرى حتى يمنع التحيز لفريق دون الآخر. وفي السنة نفسها ايضاً عقدت لجنة التحقيق لهيئة الامم اجتماعات

عديدة في بيروت وجنيف والقدس وليك سكسس واستمعت الى عدة شكاوي وبيانات ووثائق من الفريقين – العربي واليهودي.

وكانت النتيجة ان قررت هذه اللجنة التقسيم كالحل المرضي الوحيد. كان هذا اقتراح الاكثرية. اما الاقلية فقد اقترحت اقامة دولة يهودية واحدة على نظام فيدرالي. على ان هذه القرارات ذهبت ادراج الرياح.

لم يقبل اليهود بالتقسيم لسببين :

- اولا : طمع اليهود بامتلاك فلسطين كلها كما وعدهم بلفور.
- ثانياً : خافت ان يقاطعها العرب داخل فلسطين اقتصادياً، وهذا معناه الفناء لاسرائيل كدولة فتية جديدة.

ولم يقبل العرب بالتقسيم ايضاً لانهم ارادوا فلسطين كلها لهم. شجعتنا الجيوش العربية التي وقفت بالمرصاد الزائف على الحدود. وظن العالم لاول وهلة ان وقوف العرب عناد قوي، ونسوا انهم انما يتكلمون ولا يفعلون.

حدث مشروع التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧. وقد ايدته ٢٥ دولة، وعارضته ١٣، وامتنعت عن التصويت ١٧. وكان من المندفعين المتحمسين للقضية الصهيونية مندوبا اميركا الجنوبية. وكان هذا التقسيم كما ترى في الخارطة مع تدويل القدس.

نظرة واحدة الى هذا التقسيم تريك مدى اهمية المناطق التي اعطيت لليهود. على ان مشروع التقسيم لم يزد عن

كونه حبراً على ورق. وبينما كانت الدول تجتمع وتقرر والعرب نيام ينتظرون الجلاء بصبر، كان اليهود يبثون دعاياتهم في اميركا وغيرها من البلاد الاجنبية. ومن وسائل دعاياتهم: الجرائد والمجلات والكتب والبعثات والراديو والتلفزيون والجمعيات والشخصيات الكبيرة والافلام السينمائية والخطابات، الى ما هنالك. كانوا يعرضون افلام المشردين اليهود في قبرص، والمضطهدين في المانيا، وكانوا يصورون للاميركي البادي الترف فقر اليهود وحاجتهم الى عطفه. هذا عدا عن المبالغ الطائلة من الاموال التي كان يدفعها زعماء الصهيونية في الولايات المتحدة اجوراً لخطابات سياسية يلقيها بعض الساسة الاميركيين، الذين باعوا ضميرهم لقاء المال.

ليس ذلك فقط، فقد كان رؤساء كلا الحزبين الديموقراطي والجمهوري يتوددون الى الصهيونيين الاميركيين لما لهم من نفوذ مالي واقتصادي وسياسي، خاصة ايام الانتخابات. ورغم بعض المحاولات التي قامت بها بعض الجمعيات الحيادية من نزع السيطرة الصهيونية عن الصحف الاميركية التي تدعي انها صحف حرة، فقد كانت تمنى دائماً بالفشل وترد على اعقابها.

كان ينشر اليهود مقالاتهم ودعاياتهم بدافع الانسانية، ومساعدة المشردين. على ان الصهيونية لم تفتأ تلعب دورها من وراء هذا الستار.

ومن المؤسف ان تؤثر الصهيونية على اوسع الصحف الاميركية انتشاراً منها النيويورك تايمس.

ذلك لان العصابات الصهيونيه كانت تهدد كتاب المقالات بالقتل ، وتهدد الجريدة بقطع الاعلان التجاري فيها للشركات اليهودية المنتشرة في الولايات المتحدة . وكان اليهود في فلسطين يسهلون المعاملات لمخبري الصحف ، والمحررين الاجانب الذين كانوا يزورون اسرائيل في سبيل الاستعلامات .

واذا حدث حادث له اهمية تذكر ، فقد كنت تجد اخباره في الجرائد والمنشورات الصهيونية في جميع الاماكن في معظم اللغات بلحظات معدودات . وكانت الاجتماعات اليهودية تعقد باسرع من البرق عند اعلان وقت الاجتماع . فاليهودي صاحب الدكان ، واليهودي الحلاق ، واليهودي مهما كان نوع مهنته يترك اعماله كلها كي يصل الى الاجتماعات في الاوقات المعينة .

وكانت احدى الألاعيب التي لعبتها اسرائيل ، هي التأكيد لاميركا بانها دولة ديموقراطية على الطراز الاميركي ، وانها تود دائماً التعامل مع الولايات المتحدة اذا ساعدتها هذه على تحقيق اهدافها وامانيها .

وعندما كانت تتألف بعض اللجان الاميركية للبت في شؤون العرب ومساعدتهم ، كان اليهود يتحدون ويتوسطون لحل مثل هذه اللجان والجمعيات ، واتهامها بالعداء للصهيونية . وقد قدم الكثيرون من الساسة الكبار استقالاتهم نتيجة للتهديدات التي اصابتهم من قبل الارهابيين الصهيونيين.

ولم يكف الدكتور وايزمن عن التصريح علناً : « لقد تمكنا من توطيد علاقاتنا باصدقائنا في اميركا وخصوصاً في

البيت الابيض ، وتأكدنا تمام التأكيد انه لا بد من الاعتراف بالدولة اليهودية عند جلاء الانتداب البريطاني ».

كان اليهود يستعملون شتى وسائل الاغراء الممكنة لتأييد الدول الاجنبية جانب اسرائيل . وكان من بين الشخصيات التي استعملت هذه الوسائل : رئيس اللجنة الاميركية اليهودية ، ومستشار البيت الابيض لشؤون الاقليات ، وروبرت ناثان الذي جعل ليبيريا تقر التقسيم ، وعقيلة روزفلت الرئيس السابق لترومان ، حتى ان سكرتير نظارة الخارجية الاميركية لم يسعه الا القول بصراحة عما اصابه من ضغط خارجي في سبيل اقرار مشروع التقسيم.

كان الرئيس ترومان لعبة بايدي اربعة كبار يتفانون في سبيل الصهيونية وهم : وايزمن الذي كتب الى الرئيس سنة ١٩٤٨ يطالبه بالاعتراف العاجل بدولة اسرائيل ، ونايلز احد مستشاريه الذي ساعد الرئيس بخلق دولة اسرائيل تحت سلطة البيت الابيض ، وشريك ترومان قبل عمله بالرئاسة ، واليانورا زوجة روزفلت ، الرئيس السابق للولايات المتحدة.

كانت سياسة ترومان جلية واضحة ، ولو كنت يهودياً لبنيت له تمثالا من المرمر يحمل النجمة الزرقاء بيمناه ومشعل الحرية بيسراه!

اتى ترومان بعد روزفلت وكان مهتما بالقضية الصهيونية اهتماماً شخصياً . وتأثر ترومان بمستشاريه الذين كانوا يحبذون فكرة الصهيونية كثيراً ، حتى دفعوه الى الاعتراف باسرائيل

وكان هذا الاعتراف قد تم دون استشارة كافية في حكومة الولايات المتحدة. وكون الرئيس ترومان وماكدونالد، ممثل اميركا في اسرائيل من الحزب الديموقراطي، جعلهما يتحببان الى اليهود استعداداً للانتخابات. وكان ماكدونالد ممثل اسرائيل في اميركا اكثر منه ممثلا للولايات المتحدة في اسرائيل. وكان اتصاله بترومان والبيت الابيض اكثر من اتصاله بنظارة الخارجية الاميركية المسؤولة عن هذه الاعمال بالذات.

وما يبرهن هذا القول هو اعتراف ترومان باسرائيل اعترافاً واقعياً فوراً بعد الجلاء البريطاني. وقد اعلن هذا الاعتراف بالجرائد وبقيت الشبهه حوله غامضة بين اعتراف رسمي، وغير رسمي.

كانت اميركا - دولة الاحزاب والاشخاص ذوي النفوذ المادي - لعبة بايدي يهود اميركا. اما الشعب الاميركي فهو شعب يعيش عيشة الترف البادي في سياراتهم وحماماتهم ومصانعهم وناطحاتهم واختراعاتهم، شعب يعيش بلا غاية ادبية ولا روحية. وكما قال احدهم، ليست اميركا اليوم سوى قرطاجنة العصر الحديث، كل ما فيها مال وليس للروح بها معنى.

وقد اصاب المؤرخ البريطاني توينبي عندما قال: «على الغرب ان ينظر الى الشرق في سبيل روحياته، لان الغرب يحمل في نفسه جراثيم التدهور الى دركات الفساد والانحلال

الاجتماعي نتيجة لاهمال الروحيات واتباع المـــادة كأساس للحيـــاة ».

فالاميركي لا يأبه من يحكم فلسطين ، لا بل ويحبذ اليهود ويشفق عليهم ويفضلهم نتيجة لما يسمعه ويراه بالافلام والراديو والتلفزيون ، وما يقرأه في الجرائد والكتب والمجلات .

ظهر تأثير الصهيونيين عـلى الدول بضغطهم على ليبيريا وهايتي والفلبين . وعندما رفض السفير السيامي الخضوع لآراء اليهود وتهديداتهم ، الغت الولايات المتحدة السفارة من البلاد وبذلك خسر العرب صوتاً !

ومما يثير الشك الجاسوسية في البيت الابيض لحساب اسرائيل . فعندما طالبت الولايات الدول العربية بارسال تقرير عن عدد الجيش والاعتدة الحربية وما الى ذلك من المعلومات ، استطـاع نايلز التوصل اليهـا حتى اصبحت في ايدي اعدائنا اليهود .

فمن يستطيع القول ان المستشار قـد سرق المعلومات دون علم ودراية من قبل الرئيس ترومان ؟

عامل آخر استطاعت اسرائيل به القيام هو الاستهتار . فمع كون وعد بلفور يتضمن المحافظة عـلى حرية وحقوق وسلامة العرب في فلسطين ، فقد قام اليهود باشنع الجرائم التي ذكرت في التـاريخ وهي مجـزرة دير ياسين ، حيث قتلوا شبابها وشيوخها ونساءها واطفالها ورموا الجثث المشوهة كلها في بئر القرية .

وكان تأثير هذا الارهاب عظيماً على القرى والبلدان المجاورة ، التي اخذت تنزح قبل وصول اليهود اليها خوفاً من التعذيب والتقتيل . ولم تعر الوكالة اليهودية اهتماماً عندما اقترحت هيئة الامم تدويل القدس وجعلها بلداً عالمياً . وعندما اقترحت بريطانيا حد الهجرة الى ٤٠٠٠ شخص شهرياً لمدة شهرين ، اخذ يهود فلسطين يحمون المهربين ويمنعون وصولهم تحت سطوة القانون ، المانع لهذه التهريبات بشتى الوسائل .

وعندما اقترحت اميركا ان يتقاسم العالم المشردين اليهود بأن تنال كل دولة من الدول الكبرى حصتها ، قبلت انكلترا ١٥٠,٠٠٠ واميركا ١٥٠,٠٠٠ فرفض قادة الصهيونية هذه الحلول .

وعندما كانت تعارض بريطانيا اي مشروع يقوم به اليهود ، كان يقابلهم هؤلاء بالقاء القنابل على المراكز الحكومية ، ونسف الجسور والسكك الحديدية ، ويقوم ناشرو دعاياتها بالخارج بان بريطانيا تعلن العداء لشعب صهيون . وبينما كان اليهود يكافحون الانكليز من اجل فلسطين كان الفلسطينيون نياما .

اما لماذا اخلّ الرئيس روزفلت بوعوده للملك ابن سعود عندما اكد له ان اميركا لن تتخلى عن العرب ولن تترك حقهم يطمس . ولماذا اخلّ الانكليز بوعودهم الى الملك حسين ، فيرجع ذلك الى عدم اهتمام العرب الفعلي بقضيتهم .

وسبب آخر ساعد اسرائيل على النهوض هو المساعدات الخارجية . واكثر من ساعدها في هذا المضمار : اميركا وانكلترا ويهود اميركا وروسيا. وسوف اشرح باختصار بماذا ساعدتها هذه الدول.

ساعدتها انكلترا بوعد بلفور وبتشجيع الهجرة وبناء المستعمرات والضمان السياسي. صرح تشرشل مرة انه ينفي اية مقالات تهدف الى برهنة خيانة الانكليز للعرب ، وان الانكليز لم يبيتوا سوء نية بانشاء دولة اسرائيل .

وهذا ينافي وعد بلفور .

وعندما حدث التقسيم وقفت بريطانيا على الحياد كما هي حالها . وقد سمحت بريطانيا بتشكيل الوكالة اليهودية واعترفت بها . وعندما رحبت اميركا باستيطان اليهود المشردين في اميركا رأى بعض الساسة الانكليز ان هذا العمل ينافي سياستهم ، وادعوا ان وجود اليهود في اوروبا ضروري لازدهارها . لذلك عقد الاجتماع الانكلو اميركي سنة **١٩٤٦** الذي منح حق الهجرة ل ١٠٠،٠٠٠ يهودي.

ولو لم يعلن الرئيس ترومان موافقته لهذه الهجرة لسبقه ديوي باعلانها وفاز باكثرية اصوات الرئاسة.

ساعدت اميركا الصهيونيين بعطف ، وايدت الهجرة الغير القانونية بعدم الاحتجاج والتغاضي والتساهل في مصالح اليهود. وكانت الحكومة تتغاضى عن الدعايات الباطلة في الجرائد والتلفزيون والاذاعات ، بل وكانت تشجعها.

وقد ذكرنا سابقاً مدى تأثير ذوي النفوذ على البيت الابيض حيث كانوا يطالبونه بانصاف اليهود في فلسطين .

تجرأ دالس ايضاً بمطالبته الحكومة الاميركية والشعب الاميركي علناً بمساعدة الارهابيين اليهود . وعندما كان يزور زعماء الارهابيين الولايات المتحدة كانت تكرمهم الحكومة ويكرمهم الشعب الاميركي كانهم ابطال وما هم سوى مجرمي فندق الملك داوود ومذبحة دير ياسين .

حدث هذا عند زيارة بيغن - رئيس عصابة الأرغون زفاي ليومي الارهابية ، حيث دخل هذا الى الولايات المتحدة تهريباً بمساعدة ترومان ، اذ ان زيارته لم تكن رسمية ، ولم يكن قد انهى المعاملات اللازمة للدخول . ساعدته اميركا بجمع الاموال (١) الطائلة باسم الانسانية ، واعفت هذه الاموال من الضرائب ، كما وهبته ما قيمته ٢٩٥ مليون دولار عدا التبرعات اليهودية.

وبنفس الوقت ضغطت اميركا على المانيا الغربية لدفع التعويضات لليهود لقاء الخسائر المادية التي لحقتهم ابان الحرب.

---

(١) بلغ عدد الجمعيات التي كانت تجبي الاموال ما يزيد على الخمسة آلاف جمعية واكبرها جمعية هداسا وجمعية الجوئيت والجمعية الصهيونية وجمعية الوند .
كانت هذه الجمعيات تجبي الاموال من اميركا فقط ، وكانت غيرهامن الجمعيات تجبي الضرائب في فرنسا وبريطانيا وجنوب افريقيا وغيرها من البلدان امثال الاغودات والهتسدروت التي لم تكن اعمالها تتوقف على الجباية فقط كما ذكرنا سابقاً .

اما روسيا فقد شجعت اليهود باعمالهم الفرضوية والحزبية كي تخلق الفوضى . ذلك لان الفوضى وعدم الاستقرار تربة خصبة لنمو المبادىء الشيوعية وتعاليمها . هذا عدا ان الدول باجمعها ارادت التخلص من الشراذم اليهودية المتطرفة في بلادها.

كانت تمر جميع هذه الحوادث والعرب يستعدون ببطىء لخوض المعركة .

لم يكن عرب فلسطين على استعداد ابداً ، وكان ما فعلوه ان اشترى كل منهم بندقية او مسدساً مع كميه من الرصاص لا تزيد عن المائة عداً في معظم الاحيان . وكان هدف هذه الاسلحة الدفاع عن النفس . لذلك اتت بعض فصائل جيش غير منظم من سكان البلاد ، ومن الخارج تحت قيادة فوزي القاوقجي الذي اشتهر خلال ثورة سنة ١٩٣٦ ، ولكنه لم يستطع ان يفعل شيئاً يذكر خلال هذه الحرب لقلة الرجال والاعتدة الحربية . هـذا بينما كان اليهود نساءهم ورجالهم يتدربون على البنادق الحربية الجديدة والرشاشات .

كانت الدول الغربية تزودهم بالاسلحة الموحدة من جميع انواعها . اما الاسلحة التي كانت بأيدي العرب فقد حاربت خلال الحربين العالميتين. وكانت اسلحتهم مختلفة: منها الانكليزية ومنها الفرنسية ، ومنها الايطالية . لذلك صعب جداً اعارة الرصاص من واحد الى آخر خلال المعركة . وكان هذا يجبر الكثيرين على الانسحاب من المعركة .

لم يعلق العرب املهم على هذه الشراذم من العصابات

الصغيرة الغير منظمة ، بل كانوا يعتقدون انه عندما يعلن جلاء الجيوش البريطانية ، فسوف تنقض الجيوش العربية المنظمة على اليهود في فلسطين وتطردهم من البلاد .

وخاب الظن.

وفي منتصف شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، اعلن البريطانيون الجلاء عن فلسطين . وقد تبع الاعلان ازيز من الرصاص من كل حدب وصوب ، يتراشق به العرب واليهود ، الجار وجاره . ووقعت عدة حوادث وهجمات كان لها اثرها ، ولا مجال لذكرها هنا.

وكان الانتصار الاعظم الذي سجله اليهود في تاريخ اسرائيل هو سقوط يافا وطبريا وصفد واخيراً حيفا ، اهم المراكز التجارية والصناعية والحربية في فلسطين.

كان ميناء حيفا ضرورياً لتهريب المزيد من اليهود واستيراد البضائع والاعتدة الاجنبية بسهولة بالغة ، اذ يعد ميناء حيفا من اكبر الموانىء في العالم واهمها.

لقد ترك العرب فرصة الاقتناص لليهود وكان نصيبهم الخذلان والقنوط عندما سيطر اليهود على هذه الأمكنة الستراتيجية الهامة.

اما وقد شاهدت سقوط حيفا بأم عيني ، فلا يسعني الا ان اعلق اهمية كبرى على المساعدات التي قام بها الانكليز لليهود :

عندما كانت المعركة في حيفا حامية الوطيس ، اتت

نجدات من البلدان والقرى المجاورة لمساعدة العرب ، وكانت القوات البريطانية على اتم استعداد لصد هذه النجدات ، اذ اوقفت الدبابات عرض الشارع وادارت رشاشاتها على كل من تخوله نفسه بالاقتحام .

زد على ذلك ان يسر الانكليز الهرب للعرب الفارين من المعركة ، اذ كانوا ينقلونهم بالقوارب الى عكا المجاورة . هذا عدا المساعدات في القتال حيث كانوا ينضمون الى صفوف اليهود لقاء اليسير او الكثير من المال والبيرة .

اراد اليهود مكافأة الانكليز على صنيعهم فسمحوا للانكليز الباقين في فلسطين استعمال مرفأ حيفا بسلام ، وحموهم ضد اي عدوان ، ذلك لان عدد الانكليز قد قل بعد انتهاء الانتدات بسرعة .

والعمل الوحيد الجدير بالذكر والذي قام به العرب هو نسف شارع ابن يهوذا في القدس .

اما الجيوش العربية التي كان من الممكن الاعتماد عليها هي الجيش المصري والجيش العراقي والجيش الاردني .

لم يستطع الجيش العراقي الوصول الى فلسطين في الوقت المناسب لصعوبة المواصلات ولبعد العراق عن اسرائيل ، اذ لا حدود مشتركة بينهما .

وبما ان هذه الجيوش تستعمل الاسلحة البريطانية فقد قطعت عنها الشركات البريطانية تصدير الاسلحة اللازمة لمحاربة اسرائيل ، والخطأ في ذلك لا يرجع الى بريطانيا وحدها

ولو تعمدت ذلك ، بل الى العرب لتهاونهم وتأجيل اعمالهم وصرفهم للذخيرة في المناسبات العسكرية .

كنت في شفاعمرو بعد سقوط حيفا واتيح لي ان اشاهد احدى هذه المناسبات حيث استقبلت الفصيلة الدرزية فصيلة اخرى اتت لمعاونتها في حماية السراي الكبير والبرج القديم . وكان ما صرف خلال هذه المناسبة لا يقل عن ٣٠،٠٠٠ طلقة ذهبت هدراً في سبيل التسلية والنخوة .

عندما اشتدت الحالة ، توسطت هيئة الامم وعينت الكونت برنادوت وسيطاً دولياً . وكان ما اقترحه برنادوت وقف اطلاق النار ريثما يتاح لمجلس الامن البت في القضية ، وايجاد حل نهائي يرضي الطرفين . لم يرغب العرب في وقف القتال لانهم عرفوا ان ذلك انما يساعد اليهود في الاستعداد للمعركة الثانية .

وكان من تأثير الهدنة ان اضاع العرب وقتهم ونشأت بينهم خلافات ، خاصة بين الدول الكبرى الثلاث.

هذا بينما كان اليهود يستعدون بتطويع الجيوش المستأجرة وشراء الطائرات والدبابات والاعتدة الحربية ، وتعزيز المناطق الضعيفة كالقدس ، وتحريك الجيوش من مكان الى آخر .

وبينما كان العرب عبيداً لاوقاتهم ، كان الوقت عبداً لليهود . فقد اغتنم اليهود هذه الفرصة كي ينقضوا على العرب بعد ان عرفوا نقاط الضعف فيهم.

ورغم طيبة قلب الكونت برنادوت وكونه رجلا حياديا

وحاكماً عادلا ، فانه لم يسلم من براثن الارهابيين في عصابة شترن ، لانهم اعتقدوا ان الكونت برنادوت يود اعطاء القدس للعرب .

وكان ما اقترحة الوسيط برنادوت معقولا وحلا حكيما (١) ابان الحرب الفلسطينية ، على ان كلامه وقع على آذان صماء ، رغم المحاولات التي قام بها الدكتور رالف بانش من بعده لتحقيقها .

كانت هذه النقاط تهدف الى الاعتراف بدولة اسرائيل ضمن الحدود التي احتلتها حتى ذلك الوقت . وانه يجب انهاء الحرب بالتوفيق بين الطرفين . واذا فشلت هذه المحاولات فعلى هيئة الامم ان تتدخل بالموضوع . ثم تعيين لجنة خاصة لتثبيت الحدود وجعل حيفا ميناء حراً مع اكثرية من العرب واعتبار اللد مطاراً دولياً حراً . وان تكون القدس تحت حماية هيئة الامم ، دون تدخل العرب او اليهود .

وصرح ايضاً انه من الافضل ضم القطاع العربي من فلسطين الى شرق الاردن بدلا من اعتباره بلداً مستقلا ، واعلن ايضاً حق اللاجئين بالعودة الى بلادهم والسكن في بيوتهم بأمان .

مات برنادوت ، واستهتر يهود العالم بما رسم وخطط

---

١ - لم اوافق على وساطة برنادوت ، على ان هذا لا يمنع كون حله حكيماً .

وقال ، واستهترت معهم جميع الدول. وكان مصير الأمر الواقع يتوقف على شيء واحد ، وكان هذا الشيء القاضي هو حد السيف .

سقطت فلسطين ، واصبحت في اليوم الثاني - اسرائيل.

تحققت الاحلام ، واصبحت احاديث الماضي ، وتأوهات الشعب الشريد ، وصراخات الألم المنبعثة من كل قطب من اقطاب العالم - ترنيمة اسرائيل .

ولاول مرة بعد آلاف السنين من التشريد ، والتعذيب والتنقل ، ارتفعت راية اسرائيل في سماء وطننا - فلسطين .

ربح اليهـــود فلسطين بدمائهم ، وتلذذوا بذلـــك الانتصار . طردوا شعباً آمناً ولم يعبأوا ، اكلوا خبزه ولم يشبعوا ، وطردوه من بلاده ، وغداً يتبعوه .

كانت لهم احلام وتحققت . ولهم الآن احلام... فهل تتحقـــق؟

امـا وقد استفحل الداء ، وبان الخفاء ، وعرف قصـة اسرائيل كل صغير وكل كبير ، ولم يعد هناك اسرار تذاع واقاويل تقال ، فالافضل ان نسبح ترنيمة الماضي وتتذكر : لماذا استفحل هذا الداء ، ولماذا قامت اسرائيل .

●

اسباب قيام دولة اسرائيل باختصار

١ – فلسفة قديمة ، ودين واحد ، وتماسك رجعي . قام بهذه الفيلسوف هرتسل ورؤساء الدين .

٢ – اضطهادهم . الحملة التعذيبية التي قام بها هتلر سنة ١٩٣٣ والبلدان الاوروبية الاخرى .

٣ – استهتارهم . لم يأبه اليهود قط بالتهديدات الدولية يوم خرقوا قوانين الهدنة بالتهريب . ولم يتأثروا بقوانين حد الهجرة لهيئة الامم . والقوا القنابل على مراكز الرئاسة البريطانية في فلسطين . تصريح بن غوريون بتكذيب قرار تدويل القدس الذي هو قرار دولي

٤ – وحدتهم . كانت اهداف جميع اليهود في انحاء العالم واحدة وهي قيام دولة اسرائيل باي ثمن .

٥ – مساعدات خارجية . من يهود اميركا ، ومن اميركا ، ومن انكلترا ، ومن روسيا ، وغيرها .

٦ – ضعف العرب لانهم منقسمون وغير منظمين .

٧ – اليهود شعب يائس يريد الحياة باغلى الاثمان .

٨ – الخبرة والعلم والمال التي ربحها اليهود خلال جولاتهم في بلدان اوروبا والغرب .

٩ – لا قائد قدير لعرب فلسطين ، وضعف امكانياتهم

الحربية ، واعتمادهم على الدول العربية السبعة .

١٠ - مناسبة الزمان والمكان لانشاء الدولة الجديدة .

١١ - حكم العصابات ساعد اسرائيل لانها لم تكن لتودعها القوانين الدولية المؤخرة لنشوء دولة مثل اسرائيل.

١٢ - رغبة الدول الغربية في التخلص من العبء اليهودي الثقيل والجاسوسية اليهودية المنتشرة .

١٣ - عناد العرب من المفاوضة . كانوا يرفضون مشاورة الدول الكبرى لانهم كانوا يعتبرونهم اعداءهم . والحقيقة ان العرب هم اعداء انفسهم .

١٤ - سنحت هدنة ١٩ ابريل سنة ١٩٤٨ لليهود مجـــال التمركز وتقوية مناطقهم على حساب العرب .

١٥ - سياستهم بعد احتلال بعض المناطق مع الانكليز ، ودب الرعب في قلوب السكان العرب .

هذه بعض الاسباب المهمة التي توصلت اليها والتي يجب ذكرها دون غيرها . وسوف اعلق اهمية كبرى على البند السادس من هذه القائمة وسوف اشرحـه في الفصول القادمة لانه يتعلق بنا كشعب يريد التخلص من مرض الصهيونية.



كان البترول ، اعظم ثرواتنا القومية اهمية ، مصدراً
للبلاء والاستعمار والاوتوقراطية والارستقراطية
والفقر ، بدلا من ان يكون عصب الصناعة ،
وذهباً حلالا في ايدي الشعب الذي يرزح تحت
اذناب الاستعمار ، ويتخبط في اوحال الجهل والمرض

الفصل الثالث

ضعف العرب وامكانياتهم

تقع البلاد الناطقة باللغة العربية في يومنا هذا في القارتين الآسيوية والافريقية وهي تحيط بالبحر الابيض المتوسط من جهاته الشرقية والجنوبية على طول الساحل .

اما الموانع الجغرافية التي كانت في العصور الماضية ذات اهمية لم تعد اليوم حديث من يفكرون بالوحدة العربية . ذلك لأن الانسان قد تغلب على جميع العناصر الاقليمية والجغرافية بواسطة اختراعاته .

تؤمن المواصلات السريعة اليوم الاتصال بين بلد وآخر بمنتهى البساطة ، وليس من الضروري ذكر اهمية العوائق الجغرافية .

وماذا يهمنا من ذلك ، الم يستطع العرب بعد الفتوحات الاسلامية السيطرة على هذه البلدان (١) وساسوها بكل قدرة وكفاءة حتى حكموا جزءا كبيراً من جنوب غربي اوروبا ؟ وبذلك حكموا جزءاً من العالم اكبر مما نفكر في وحدته اليوم؟

هذا مع العلم ان امكانيات المواصلات في ذلك الحين

---

١ — نزل العرب في اسبانيا سنة ٧٠٩ ميلادية .

كانت بسيطة أولية، فلا سيارة ولا طائرة ولا قاطرة وما اشبه، حتى لا اذاعة ولا جرائد.

تقع مجموعتنا العالم العربي في جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا. وهي تضم البلدان الآتية: جزيرة العرب (معظمها صحراء)، ثم الهلال الخصيب في الشمال الذي فرقته المطامع الاجنبية الى: العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن ثم مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش.

اما الجزء الشرقي من هذه البلاد فقد كان ذا اهمية كبرى في العالم القديم لانه مهد الحضارات القديمة التي توالت عليه، بينما كان الغرب في سبات من الجهل.

يشكل هذا الجزء من العالم اليوم قبلة انظار الامم الكبرى لما له من اهمية في المصالح السياسية والستراتيجية.

وزادت اهمية بلادنا هذه خاصة بعد اكتشاف آبار البترول في العراق والظهران والكويت وكركوك وغيرها من الامكنة.

ان مشاكل الشرق الاوسط السياسية في الوقت الحاضر ترجع الى عدة اسباب اهمها: الحكم التركي، معاهدة سايكس بيكو، وعد بلفور، وطمع فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة وتكالبها من اجل السيطرة على هذه البقعة من العالم لاسباب منها الربح المادي، والنفوذ السياسي، والوقوف امام التوسع السوفياتي.

وسوف اشرح كل هذه المشاكل بالتفصيل في الفصول القادمة . فأن الحكم التركي لم يترك سوى الأثر السيء في نفوس العرب وعلمهم الخنوع وعدم التفكير بالحكم الذاتي والاستقلال. وقد كان الأتراك يهملون التعليم قصداً ، حتى يبقى العرب في درجة دنيا من الرقي ، لا هم لهم في المجالات الحياتية والنفسية سوى العيش . ولا يزال بعض العرب الى اليوم لا يستطيعون التعبير عن رأيهم الحاضر كما يعبر عنه العالم المتقدم ، ذلك لانهم ما زالوا متأثرين بالعقلية القديمة .

وما ان انتهى الحكم العثماني في البلاد العربية سنة ١٩١٨ حتى تأسست الانتدابات : الفرنسي في سوريا ولبنان ، والانكليزي في فلسطين والعراق وشرق الاردن سنة ١٩٢٠ . وكان هذا التقسيم نتيجة لاتفاقية عقدها الفرنسيون والانكليز ، وسميت بمعاهدة سايكس بيكو .

رسمت خطة معاهدة سايكس بيكو بتعمد وترو وحذق لجعل الوحدة العربية مستحيلة الامكان ، وهي اخبث معاهدة قامت بها الدول الغربية في عرقلة سبيل تقدم الدول العربية لأنها شطرت وحـدة اجتماعية وثقافية وصناعية الى اقسام متعددة ووضعت بينها حدوداً اصطناعية . ذلك تبعاً للمثل القائل : « فرق تسد » .

ونظرة واحدة الى الخارطة تريك اثار المسطرة التي

استعملت في وضع الحدود بين هذه البلدان التي نسميها الدول العربية اليوم. والتي لا تزال هذه الممالك قائمة بمساعدة الاقليميين الضيقي التفكير يدافعون عنها وعن صحتها بعد ان حاربوا الاستعمار، واستماتوا في سبيل الاستقلال.

خالفت معاهدة سايكس بيكو الوعد البريطانية للشريف حسين وجعلت الحكم العربي الذاتي آنذاك مستحيلا بأن سمحت للانكليز والفرنسيين بالتمركز في الشرق لمصالحهم الخاصة.

وما زاد المسألة تعقيداً هو وعد بلفور الذي وعد اليهود بقيام دولة اسرائيل في قلب البلاد العربية.

قبل البحث في هذه الامور المهمة علينا ان نسرد باختصار مشاكل الامة العربية منذ بدأ العرب يفكرون بالاستقلال الذاتي.

بقيت مصر تحت الاحتلال العسكري البريطاني منذ سنة ١٨٨٢، وقد ظهرت فكرة التخلص من الانكليز والاستقلال قبل بداية الحرب العالمية الاولى. وكانت اول خطوة نحو الاستقلال معروض قدمه الوفد المصري بعد معاهدة الصلح عند نهاية الحرب سنة ١٩١٨ يطلب فيها الوفد انسحاب القوات البريطانية والسماح للشعب المصري بالحكم الذاتي والتصرف بشؤونه الخاصة.

رفضت بريطانيا هذا المشروع فقام الشعب المصري ثائراً على هذا الرد، وما كان من الانكليز الا أن اعتقلوا السياسي

الكبير سعد زغلول باشا.

نشب النزاع بين الحكومة الانكليزية والمصريين حتى اجبرت انكلترا اخيراً على التخلي عن مصر تحت الشروط التالية :

١ – حق لبريطانية بالدفاع عن مصر في حال اي تدخل اجنبي .

٢ – حق لبريطانيا في استعمال الاراضي المصرية وقناة السويس كحلقة وصل بينها وبين اجزاء امبراطوريتها في الشرق.

٣ – حماية المصالح الاجنبية والاقليات في مصر ، وحماية السودان من اي عدوان . وكانت انكلترا تخاف ان تنضم مصر والسودان بعد ان تنال مصر استقلالها .

وبعد ان وقعت مصر على هذه الاتفاقية التي تحمل بين ثناياها فكرة الاستعمار العملي ، سعت لها بريطانيا مكرهة بالاعتراف بها وادراج اسمها في عصبة الامم.

وفي نفس الوقت الذي شعر به المصريون بوجوب الاستقلال ، كان العراقيون يتنفسون الصعداء لخلاصهم من الحكم التركي ، وقد قاوموا بشدة كل المحاولات التي قام بها الانكليز للسيطرة على العراق .

وبعد مناقشات عديدة اعترفت انكلترا باستقلال العراق سنة ١٩٣٠ ، وادرجت اسمها ايضاً في عصبة الامم.

كانت اتفاقية الانكليز مع العراق لا تزيد اسمياً عن كونها معاهدة عسكرية بين بلدين مستقلين ، حيث قبلت العراق بأن تحالف الانكليز وتراعي مصالحهم في

الشرق ، ولكن ليس على حساب الدول العربية . وكان نهاية الانتداب في العراق سنة ١٩٣٢ .

تقدمت العراق جيداً في المضمار الدولي بين الحربين رغم المناوشات الحزبية والسياسية ، ويرجع معظم الفضل في ذلك الى المدربين والمساعدين البريطانيين .

لم تكن الحال في لبنان وسوريا احسن حالا من غيرها ، فقد كان السكان يكرهون الفرنسيين كرهاً شديداً ، رغم المحاولات التي قام بها الفرنسيون للتفرقة .

وتحاشياً للاسهاب التاريخي اذكر ما يلي :

- اعلن ابن سعود قيام المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٢ .
- انتهى الانتداب على سوريا ولبنان سنة ١٩٤١ .
- تأسست جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ .
- استقلت الاردن واصبحت مملكة سنة ١٩٤٦ .
- اصبحت فلسطين اسرائيل سنة١٩٤٨ .

اما الثورات الشعبية القائمة في بلاد المغرب ضد الاستعمار الفرنسي مشجعة للغاية وهي تثبت مدى تقدم هذا الجزء من الوطن العربي ويقظة الشعور القومي فيه وطموحه الى الاستقلال . تحاول فرنسا البقاء في هذه البلاد بكل الوسائل : بالقوة والمفاوضات والاغراءات . ولكن آن لفرنسا ان تخضع امام ارادة الشعب ، ولن تنفعها سياسة الاستعمار بعد الآن .

ما ان تخلصت بعض الدول العربية من الاحتلال الاجنبي ، حتى تضافرت الجهود لتأسيس جامعة عربية هدفها

الأول توطيد العلاقات بين ابناء الوطن العربي.

ولا بد من ذكر الآثار التي تركها الغرب بعد انسحابه من الشرق الاوسط باختصار:

١ – قيام فكرة جامعة الدول العربية :

وكان من انصار هذه الفكرة المتحمسين : النحاس باشا ، ونوري السعيد باشا، ولم تكن موافقة الملك عبد الله على الدخول الى هذه الجامعة بعدئذ الا لتحقيق اهداف شخصية كانت تجول في خاطره منذ زمن قديم. وربما وجد الجامعة فرصة سعيدة لتحقيق هـذا الهدف .

وقد صرح الملك عبد الله مراراً بانه يود ان توحد سوريا الكبرى تحت ملكه ، وان تكون عاصمته دمشق ، وكان هذا الرأي مع كونه خطوة اولى نحو الوحدة العربية ينافي اهداف الجامعة العربية من حيث المبدأ . وكان الملك عبدالله يحاول المستحيل في هذا السبيل لان فكرة الجامعة العربيةلم تكن مبنية على هذا الاساس . هذا، مع المنازعات العائلية بين السعوديين والهاشميين . وفكرة مصر عندذاك بأفضليتها للرئاسة مما جعل الوحدة صعبـــة .

٢ – الثروة المادية لطبقة خاصة :

لا ننكر ما قامت به الدول العربية خلال الحرب من مشاريع حربية عديدة كبناء الطرق ومراكز الدفاع مما سهل العمل للآلاف من الناس الذين كانوا يعيشون

على الزراعة البدائية في الريف والقرى .

على ان الاموال الطائلة التي صرفت في هذه المشاريع كانت نتيجتها فاسدة للاسباب التالية :

كان يعهد بالمشاريع الكبرى الى المتمولين الكبار الجشعين الذين ملأوا جيوبهم ما استطاعوا وتركوا القليل للعامل كي يعتاش منه . وكانت هذه النقود تخزن في البنوك دون افادة الشعب ، ونشأ في ذلك الوقت طبقة عرفت باغنياء الحرب . وقد اهمل هؤلاء الاغنياء معنى القرش الذي اذا ما خزن حرمت منه الامة باجمعها من الاستفادة ، ويصبح قرشاً ضائعاً .

لذلك نشأ تفاوت بين طبقات الشعب اساسه المادة ووفرتها في ايدي الاقلية. وهذا ما سبب قيام الباشوات والبكوات والزعماء الاقطاعيين المنتفعين من شعب فقير ناء قرونا تحت الاستعمار التركي. فلو كان الشعب طبقة وسطى كما كان في فلسطين تحت الانتداب البريطاني حيث لا زعيم ولا رئيس ، لكانت حالتهم تتحسن بدلا من ان تسوء.

٣ – قلة الوظائف مع كثرتها بعد الجلاء:

تقدم الشبان المتعلمون من كل حدب وصوب وتوجهوا نحو المدن وراء الاشغال المغرية التي وعد بها الحرب فوجدوا عملا لا بأس به على انهم وقفوا مكتوفي الايدي يفتشون عن عمل آخر بعد انتهاء الحرب . وكان عملهم

الوحيد التوظيف في الحكومة.

ووجد غير المتعلمين صعوبة في الرجوع الى الحقل والعمل فيه. زد على ذلك ان الاعمال الزراعية كانت — ولا يزال معظمها — بدائية لا تستطيع الانتاج المفيد.

٤ — روح الاضطراب:

كان الشعب العربي بعد الجلاء اشبه بولد اصبح في سن السابعة عشرة. ولد مغرور لا يفهم الحياة ويعتقد أنه رجل، تغلب فيه روح الفوضوية والظهور والشعور بطموح لا هدف له. وكانت اقلية السياسيين الذين خاضوا غمار السياسة يتعلمون المعاملات السياسية لاول مرة.

وكان باستطاعة اي منا الآن ان يقود ثورة كبرى او على الاقل اضطراباً داخلياً بكلمة يلقيها على مسامع الشعب في ذلك الوقت. كانوا مستعدين للقيام بمظاهرة ضد الشيوعية في اليوم الاول، ومظاهرة ضد بريطانيا في اليوم الثاني وما اشبه...

لم يكونوا على دراية بما يفعلون، همهم الوحيد المعيشة الكافية. وكانت السياسة آنذاك مطمع الاقلية المتعلمة ولعبة، او بالاحرى وتسلية الاكثرية الجاهلة. وكان الاجنبي هو الشخص الملوم وحده عندهم، لانه سبب لهم ما سبب.

٥ - فكرة المشاكل كمشاكل محلية:

لم تكن فكرة قيام دولة اسرائيل ذات اهمية تذكر رغم كل الجهود التي قامت بها جامعة الدول العربية ضدها لانها على ظنهم مشكلة محلية اكثر منها دولية. وقد اخطأ الساسة العرب التفكير والتقدير عندما ظنوا ان اميركا لن تساعد اليهود لان لها مصالح اقتصادية وسياسية في الشرق العربي. وكان هذا الظن خطأ لان اميركا هي موجدة اسرائيل بالاشتراك مع انكلترا. كان الانكليز والاميركان، الساسة المسنين والمحنكين ادهى بكثير من الحكام العرب فعاملوهم كالاطفال بان وعدوهم وعوداً شتى لم يحققوها فيما بعد. وسوف اذكر في الفصول القادمة كيف ساعدت اميركا وانكلترا على قيام دولة اسرائيل على انقاض فلسطين ودماء الفلسطينيين. انها حقاً وصمة عار في تاريخ امتنا لن يمحوها سوى استرجاع الوطن المسلوب والشرف المثلوم.

كان الاثر الوحيد الذي تركته تركيا بعد ان حكمت بلادنا حقبة من الزمن (١٥١٧ - ١٩١٨) هو الخنوع والطاعة العمياء، وعدم الاعتماد على النفس.

كان الباشوات الاتراك يجمعون ما استطاعوا من الاموال والضرائب من الشعب العربي الفقير كي يشبعوا رغباتهم وملذاتهم في القصور الفخمة، ودفع المعاشات الطائلة لموظفيهم العديدين نتيجة لنظامهم الاداري المعقد

وكان الدين الاسلامي الذي يدين به الاتراك عاملا اساسياً لعدم قيام ثورات ضدها خلال الاربعمائة سنة من حكمهم.

بقيت الحال هكذا حتى قام صوت مصر معلناً العداء للاتراك ، وهو صوت محمد علي باشا ونستطيع ان ندعوه المصري الاول.

نكون بذلك ذكرنا الآثار التي تركها الاتراك ومن بعدهم الاستعمار الفرنسي والانكليزي من معطلات للوحدة وما سبب ضعف العرب .



سنبدأ البحث في السطور التالية عن امكانيات العرب العلمية والمادية والصناعية والزراعية بطريقة عامة ، ونبدأ بالزراعة.

الزراعة :

ان تأخر الزراعة في البلدان العربية ناتج عن عاملين اساسيين وهما :

١ — النظام الاقطاعي .

٢ — نقصان العوامل الفنية والآلات الحديثة .

يتضح ذلك اذا قارنا بين ما قام به العرب من جهود زراعية، وما قام به اليهود على نفس الاراضي في فلسطين.

نتجت القائمة التالية (١) عن احصاء سنة ١٩٣٩ وتدل على قيمة المحصول بالنسبة للمساحة المزروعة .

	المساحة مائة ايكر	قيمة المحصول الف جنيه مصري	القيمة في الايكر ١ جنيه فلسطيني
العرب : الموالح الحوامض	٣٦٦	١٦٠٠	٤٣و٧
الغلات الاخرى	١٥٣٨٣	٢٩٩٨	١و٩٥
اليهود : الموالح	٣٨٣	٢٤٠٠	٦٢و٧
الغلات الاخرى	١١٠٠	٩٠٠	٨ و ٢

يتضح من هذه القائمة ان الارض تغل عند اليهود في الايكر الواحد اربعة امثال ما تغله عند العرب . ويركز

(١) عن كتاب تطور الزراعة في الشرق الاوسط، تأليف الدكتور كين. تبرهن هذه القائمة ان جزءاً كبيراً من الزراعة يعتمد على الاساليب الفنية في ادارتها .

يهود فلسطين جهودهم علـى صناعة انتاج الموالح للاصدار، وصناعة استخراج المواد الكيمائية من البحر الميت .

اما الزراعة في العالم العربي اجمالا فهي متأخرة بالنسبة للزراعة في البلدان الاخرى وذلك لان مياه الري ليست متوفرة ولان معظم الاراضي صحراء جافة . والمطر شحيح في معظم الامكنة.

لذلك تعتمد معظم الزراعات على المياه المخزونة او على الابار الارتوازية ، او على الانهار والسواقي التي تمر بالاراضي المزروعة.

دلت الاحصاءات ان المملكة العربية السعودية تتألف من ٩٩ ٪ ارض صحراوية ، وان معدل الارض الصالحة للزراعة فيها لا تزيد على ٦ – ٧ ٪ .

اما الزراعات التي كانت ناجحة نوعاً ما هي الحمضيات في فلسطين والقطن في مصر. هذا وقد ادخلت سوريا والعراق القطن الى زراعاتها وزيدت المساحة المزروعة من ٨٠،٠٠٠ الى ٢٧٠،٠٠٠ دنم . ويمكن ان تزاد الاراضي المزروعة في البلدان العربية الى مساحة لا بأس بها ، على انها تحتاج الى آلات حديثة وخبرة فنية ومجهودات جماعية كي تستطيع هذه البلاد الاستفادة من اراضيها.

والسبب الاكبر في تأخر الزراعة في بلادنا كما ذكرنا هو سيطرة الفئة الغنية القليلة على معظم اراضيها وزراعتها على حسابهم الخاص . وكثيراً ما يهمل هؤلاء اراضيهم لانهم ليسوا

بحاجة ماسة اليها فيكتفون بما تنتجه لهم ، قليلا كان او كثيرا. وهؤلاء الاغنياء لا يؤمنون بتحسين اراضيهم لانها تكلفهم مالا كثيراً في بادىء الامر.

يعيش معظم هؤلاء الاغنياء في المدن ويتركون مزارعهم تحت ادارة اشخاص لا يعرفون الكثير عن الادارة الزراعية الحديثة ، ذلك لان الملاكين يفضلون العيش بالمدن حيث الرفاهية والملاهي الكثيرة التي يقتلون بها اوقات فراغهم . ينظر هؤلاء الى اراضيهم كمصدر ربح من غير تعب ، ولا يفكرون بتحسينها .

ونتيجة لهذا الاهمال ، تخسر الاراضي العربية باستثناء بعض الامكنة ، مقداراً كبيراً من خصبها لكثرة الزراعة المتواصلة ، واستعمال السماد الرخيص ، والري على الطرق القديمة .

ولا بد من ذكر بعض المقترحات لتحسين الحالة الزراعية في بلدنا العربي منها : امكانية زراعة الارز في بعض المناطق الملائمة . استعمال الآلات الزراعية الحديثة امر لا يستهان به ، وتسليم الاراضي الى ادارة مستقرة حازمة على غرار ما حصل في السودان عقب الاحتلال المصري السوداني من الضروريات . ويمكن تجفيف جزء كبير من الاراضي الصالحة للزراعة كما فعل المصريون في بعض اقسام بحيرات الدلتا ، وكما فعل السوريون بقطعة كبيرة من الارض في الشمال الشرقي من سوريا.

هذا عدا الامكنة الصالحة للزراعة التي يمكن تحسينها في

شرق الاردن مثل الكورة الواقعة غربي معان ، وغور الصافي جنوبي البحر الميت ، ومناقع الحولة وغيرها .

يمكن ايضاً تحسين حالة اراضي الاوقاف واملاك الدولة التي يذهب معظمها بوراً في معظم السنين دون الاستفادة منها . تعالج هذه القضية بواسطة لجنة خاصة بالاوقاف واملاك الدولة .

ومن اهم عوامل تحسين الزراعة هو تعليم الشبان هندسة الزراعة كما هو الحال في قسم الزراعة في الجامعة الاميركية في بيروت ، حيث يتدرب الشبان بعد نيلهم قسطاً وافراً من الدراسات العالية على الزراعة الفنية في البقاع .

لا يكفي هذا فقط ، بل يجب تعليم الفلاحين والمزارعين فنون الزراعة كما كان الحال في فلسطين ايام الانتداب البريطاني . فقد كانوا يعلمون التلاميذ زراعة الخضار والبقول في المدرسة ، عدا عن النصائح التي كان يسديها الاخصائيون الى المزارعين الكبار .

يمكن ايضاً تحسين وسائل الري ، وصناعة الاسمدة الكيماوية الضرورية .



الصناعة

يستدل من الفحوص الجيولوجية ، على الرغم من قلتها ان بلادنا ليست كفؤاً للقيام بالصناعات الثقيلة لتمون حاجتها منها (١) على ان منابع النفط تشجع القيام بمثل هذه الصناعات لانها توفر الطاقة اللازمة .

اما الصناعات الحالية في الشرق العـــربي فهي صنع الاقمشة والزجاج والصابون والتبغ والنبيذ والجلود والسكر والمواد الكيماوية للسماد والاسمنت ، وغيرها من الصناعات الاولية .

معظم هذه الصناعات فردية او محلية ، وليست على نطاق واسع .

تعد صناعة النسيج في مصر من اكبر الصناعات العربية فهي تصدر اكثر من ١٠,٠٠٠ طن الى الخارج . كما انها تنتج عشر حاجتها من الفولاذ تقريباً .

والمعروف ايضاً وجود مناجم غنية بتراب الحديد في صحراء البحر الاحمر ومنطقة اسوان ، حيث القوة متوفرة ، وفي الواحات البحرية . ومن المحتمل ايضاً ان تتفق مصر مع بعض الشركات الالمانية لاستثمار الحديد فيها لتأسيس

(١) لايمكننا الاعتماد على هذه المعلومات لانها آتية عن لسان خبراء فنيين ايام الانتداب . وبرهن اليهود خطأ بعض هذه المعلومات بمصنوعاتهم التي قاموا بها في اسرائيل . وانظروا ماذا فعلت مصر .

الصناعات الثقيلة .

وبرهان على ان البلدان العربية قادرة على انتاج اكثر مما تنتجه الآن هو صناعة القطن في مصر : انتجت مصر ٤٠ ٪ من متطلباتها قبل الحرب ، وابان الحرب كان الانتاج يزيد على ٧٠ ٪ من متطلباتها .

تعد صناعة السكر ثاني صناعاتها ، والاسمدة الكيماوية ثالثها . وهناك محاولات ومشاريع لبناء مصنع في السويس ، وآخر بالقرب من خزان اسوان لانتاج نيترات الكالسيوم ، وان مصانع الاسمنت في مصر تتحسن من يوم لآخر (١) .

والصناعة العربية التي نجحت نجاحاً عظيماً هي النفط . ففي المملكة العربية السعودية وفي العراق آبار عظيمة للبترول باستطاعتها تمويل جميع سكان هاتين المنطقتين .

زد على ذلك ان بلداناً اخرى استفادت من هذه الصناعة وهي سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، حيث بنيت فيها معامل التكرير ومرت باراضيها الانانيب .

والنقطة الوحيدة السوداء هي ان هذه الصناعة تقع بين ايدي اجانب يديرونها ويمتصون معظم ارباحها . ولو كانت الفائدة من ذلك مشتركة ، على ان بامكان العرب تدريب خبراء كي يستلموا هذه الاعمال ، وباستطاعتهم بعد ذلك بيع البترول على حسابهم الخاص .

---

(١) تتقدم مصر يوماً بعد يوم ، فان اردت العدد الصحيح فلك بالمراجع الحديثة المختصة ، ولا مجال لذكرها في هذا الكتاب .

توجد هذه الآبار في الكويت والبحرين والعربية السعودية والعراق . هذا عدا بعض آبار البترول الاقل اهمية في مصر ، والتي تخضع ايضاً للسيطرة الاجنبية .

تحتوي هذه الآبار على كمية كبيرة من البترول تزيد على نصف بترول العالم . فالولايات المتحدة مع كبرها لا تحتوي على اكثر من ٣٥ ٪ من بترول العالم .

وتدل الاحصاءات الاميركية على ان بترولهم لابد نافد في مدة لاتزيد على الستين سنة . لذلك لجأت الشركات الاميركية الى البترول العربي تغب منه ما استطاعت . ونكون بذلك خسرنا ما لا يجب ان نخسره .

وما يثير القلق في البلدان العربية هو اختلاف الشركات الانكليزية والاميركية عمن سينال حصة الاسد من الزيت العربي (١) .

يدعي الانكليز انهم احق بهذا الزيت لانهم اول من أتوا الى هذه البلاد ، وتعد شركة النفط العراقية اكبر هذه الشركات اهمية . واضخم مشروع قامت به هذه الشركة هو مد الانابيب من كركوك الى كل من حيفا في فلسطين وطرابلس في لبنان . وقد حسنت الشركة هذا المشروع

---

(١) يبلغ انتاج البترول في الشرق الاوسط ٦٠،٩ ٪ من بترول العالم وهي موزعة كالاتي :

ايران ٩،٥ ٪	البحرين ٠،٧ ٪	قطر ١،٠ ٪
العراق ٩،٩ ٪	الكويت ١٥،٠ ٪	الجزيرة العربية ٢٤،٨ ٪

بأن زادت انابيب اضافية مع الانابيب القديمة سنة ١٩٥١. وما ان انتهى هذا العمل حتى مدت انبوبا آخر من كركوك الى بانياس في سوريا .

وان هذه الشركات تعرف خطر ادارتها الاجنبية لانها تحس بالنهضة العربية في جميع نواحيها . ولو لم تكن هذه الشركات حكيمة بادخال العرب في ادارتها وتدريبهم ، كان نصيبهم الخسران والفشل بعد سنوات . لذلك نرى ان شركة الاي بي سي قد شرعت في بناء بيوت جميلة ومدارس ابتدائية ونواد لعمالها وموظفيها .

ولو كانت الفائدة التي يجنيها العرب من هذه الشركات عظيمة ، على ان هذه الارباح تذهب الى الرأسماليين القلائل الذين يشترون بها آلاف السيارات او يقبرونها في رمال الصحراء للمستقبل او يضعونها في المصارف الاجنبيه عن سبيل الجهل . وبذلك يبقى البدوي بدوياً والعامل عاملا..

وان الشركات الغربية مسرورة لهذا الحال لانها لا تتعامل مع حكومات لها برلمانات بل تتعامل مع اشخاص اتوقراطيين كلمتهم كلمة الدولة باجمعها .

كان البترول ، اعظم ثرواتنا القومية اهمية ، مصدر البلاء والاستعمار والاتوقراطية والارستقراطيه والفقر ، بدلا من ان يكون عصب الصناعة ، وذهباً حلالا في ايدي الشعب

الذي يرزح تحت اذناب الاستعمار ، ويتخبط في اوحال الجهل والمرض .

اين هي المشاريع التي قامت بها حكومات البترول من الاعمار ؟

ان هذه الثروة وجدت في ارض ولد عليها ابناء الشعب ولهم الحق الاكبر والاول في الاستفادة منه . لقد آن لعصر الاستئثار والاقطاعية ان ينجلي وآن للشعب ان يتعرف الى ثروته الضائعة .

ارضنا العربية حبلى بالذهب الاسود فكانت مصدراً لطعنات الاستعمار يبقرون بطنها لينالوا منها ما يريدون من البترول ثم يستقرون حتى يقووا نفوذهم السياسي في هذه البلدان . فلو كان قصد الاميركيين والانكليز فقط لتعزيز اقتصادياتهم ، لما رأيناهم يشددون على الحكومات العربية بشتى الوسائل لقبول الاحلاف العسكرية .

تخاف هذه الدول تفشي الشيوعية في البلدان العربية اولا ، وتخاف من روسيا التمركز في هذه المنطقة في حال نشوب حرب عالمية ثالثة فتستولي على البترول ، لان روسية تفتقر الى البترول الكثير في حال نشوب حرب .

لذلك اخذت شركات البترول « الاقتصادية » تحمل وراءها اطراف « السياسة » ، واي سياسة .

يريد الاميركيون تحسين الشرق لانهم يحبون العرب! ولذلك خلقوا اسرائيل .

يريدون السلام في العالم ، ولكن على حسابنا ، وعلى شرط ان لا يخرجوا من هذه المنطقة . يريدون السلام ، ويجربون القنابل الهيدروجينية والذرية .

يحملون اغصان الزيتون ، ويبنون القواعد العسكرية والحربية . يريدون شيئاً واحداً بالظاهر ، وهو السلام ، ويريدون كل شيء بالباطن لمصلحة اميركا والاميركيين.

انقشع سر ربيبة اسرائيل ، وسر انجلترا ، وسر كل دولة اجنبية . لا يأتون الى بلادنا الا لمصالحهم الخاصة .

فالانكليز لا يريدون من الشرق سوى البترول ، ومركزاً لهم في الاردن ، ومراكز استراتيجية لحفظ الامن في هذه المنطقة!

لايريدون من الشرق العربي سوى المفتاح للشرق البعيد والمرامي السياسية والاقتصادية في تلك البقاع .

لذلك ايها العرب ، ليست شركات البترول في بلادنا شركات اقتصادية فحسب ، بل هي شركات سياسية . انها دول ضمن الدول العربية . بضائعها التي تستوردها من الخارج معفاة من الرسوم الجمركية ، وثبت في كثير من الاحيان ان هذه الشركات كانت تهرب البضائع دون علم الدول العربيه ، او بالاصح دون علم الشعب العربي .

اما الاتفاقات التي وقعتها الدول العربية مع هذه الشركات لم تزد عن كونها حبراً على ورق . فلا تدفع هذه الشركات الا جزءاً يسيراً من المتفق عليه للاسر المالكة ،

ولا ينال الشعب الا جزءاً يسيراً من هذا الجزء اليسير.

وبعد ذلك نسأل : اين هو البترول ؟

وبعد ذلك نقول : بترول العرب اكثر من نصف بترول العالم ، ونفتخر . .

ونسي الشعب ان هنالك اسراراً تكمن وراء البترول. كان البترول نقمة على الشعب العربي . وسوف يحوله هذا الشعب الى نعمة ، وذهب ، ومال ، ورفاهية ، وحرية .

ليس ذلك فقط ، فان هذه الشركات لا توظف الا الاقليين من العرب ، ومعظم موظفيها اجانب .

يبلغ دخل العراق من البترول ثلث دخله القومي ، ويذهب جزء كبير من هذه الاموال لمشاريع التحسينات والاعمار .

تستولي العائلة الحاكمة في قطر على اموال البترول ولا تنفق الا النزر اليسير في سبيل المشاريع العمرانية .

ويساوي دخل البحرين من البترول ثلاثه ارباع الدخل القومي ، ويذهب ثلثه الى العائلة الحاكمة.

وتعد الكويت البلد الثالث بضخامة الانتاج العالمي من البترول بعد الولايات المتحدة وفنزويلا بعد اكتشاف بعض لآبار حديثاً . ويبلغ دخلها من البترول ٨٢ ٪ من دخلها االقومي.

تنفق الكويت على المشاريع العمرانية اكثر من نصف هذا الدخل . ولكن التبذير ، وسوء التقدير يحولان دون

الاستفادة التامة من هذه المصروفات.

ويلزم المملكة العربية السعودية ادارة نشيطة تتصرف بالاموال التي تذهب هدراً بعد البترول .

تكلمنا كثيراً عن احوال النفط ، وما وراء النفط . ولننظر الى الصناعات الاخرى التي لم يرد ذكرها ، والتي يمكن للبلاد العربية الاعتماد عليها ، ولنذكر منها صناعة النسيج والبسكويت في لبنان ، والصوف في البلدان العربية.

فان انتاج لبنان الصغير من النسيج يكفي لسد حاجيات كل من لبنان وسوريا والعراق والاردن . وبعد زيارات مطولة الى بعض هذه المصانع في لبنان استطعت ان اؤكد مبلغ اهمية الاستيراد الحر الذي هو اكبر عقبة في طريق نمو هذه الصناعة وازدهارها ، وصفها في مصاف الصناعات الاولى في البلدان العربية .

اما صناعة البسكويت في لبنان ، فهي صناعة ناجحة تماماً . وان هذه المصانع قادرة على سد حاجات البلاد العربية جمعاء ومدها بأجود انواع البسكويت الذي لا يزيد سعره عن ٦٥ ٪ من سعر المنتوجات الاجنبية المضاربة .

اما الصناعات في ليبيا فلا تزال متأخرة وبدائية ومعظم هذه الصناعات يملكها ويديرها الطليان .

ان ليبيا بحاجة الى العلماء العرب الفنيين وتأمين رأس المال حتى تقوم بالمشاريع الاقتصادية القومية .

وليست الحال في تونس والجزائر ومراكش احسن

حالاً من غيرها من البلدان العربية .

ولن تتقدم الصناعات في الاردن تقدماً محسوساً ما لم تتخلص من الاسد الرابض على صدرها والقابض على ثرواتها الطبيعية .

ليست الاحصاءات التي قام بها الفنيون الاجانب في بلادنا الا تمويها وتشويهاً للمعلومات الحقة عن ثروتنا القومية الكامنة ، والمنتظرة ليد الشعب كي تخرجها الى حيز الوجود .

ان امكانيات الثروة العربية قوية لمشاريع الانماء والاعمار . فان البلدان التي تعتمد على النفط تستطيع الاكتفاء من النفط وحده ، وقد يفيض المال الكثير عن حاجتها لاجل الاعمار ، والذي يمكن استعماله للبلدان الاخرى .

وحتى يتم ذلك نحتاج الى وحدة اقتصادية شاملة في البلدان العربية ، والاهتمام بالوحدة الاقتصادية كالعامل الاهم في سبيل الوحدة الشاملة ، وذلك بالغاء السمات وازالة قيود التنقل ، وتوحيد النقد ، او على الاقل بتسهيل انتقال الاموال بدائياً ، وانشاء مصرف عام ، ولجان في كل بلد للاصلاحات العامة والمشاريع الاقتصادية .

على الشعب العربي ان يشعر بوجوب الانماء ، وان يشعر الناس ان هذه المشاريع تخصهم وتخص ابناءهم مباشرة وان تنزع عنها فكرة المصلحة الحكومية كما هي الحال الآن.

على الشعب ايضاً ان يشجع مشاريع الاعمار المذكورة

كمشاريع السدود والاقنية والمواصلات في العراق ، ومشروع التسليف الصناعي والزراعي والفندقي ومشروع الليطاني في لبنان ، ومشاريع الطرقات وغيرها في الاردن ، والحركات الاعمارية البدائية في معظم البلدان الاخرى . وسوف نفرد لمشاريع الاعمار في مصر بحثاً خاصاً في الفصول القادمة .

كان مشروع التعاون الاقتصادي العـــربي حديث « الساسة » في الجامعة العربية . قدمت الجامعة اقتراحات عديدة فتفاءل الناس ، ولكن اقتراحاتهم لم تخرج الى حيز الوجود . والسبب الاكبر في ذلك هو ان الساسة هم الذين سعوا بهذا الاتحاد الاقتصادي .

وكيف يمكن هولاء الفصل بين المصالح الاقتصادية والمصالح السياسية ؟

على من يسعون الى الاتحاد الاقتصادي ان يكونوا اقتصاديين بعيدين عن كل نزعة سياسية .

كان الزعماء السياسيون ينظرون الى مصالحهم الخاصة قبل النظر في المصلحة العامة ففشلت مشاريعهم . ويكفي ان نعرف مما فعلوه اعترافهم واقتناعهم ان العالم العربي بحاجة قصوى الى هذا الاتحاد الاولي لرفاهية الشعب ، واقناعه ان الوحدة الشاملة ضرورية في سبيل الاستفادة والافادة المشتركة .

بعد ان ذكرنا النواحي السياسية والزراعية والصناعية ، نذكر الناحية الثقافية . وعلى القارىء ان يتأكد ان بحثنا

هذا بحث عام لان كل ناحية من هـذه النواحي تتطلب كتباً خاصة في الاسهاب ، على ان القارىء العادي يرغب في معرفة الامور على وجه الاجمال ، فاختصرنا الحـديث دون ان نضيع النقاط الاساسية التي ترتكز عليها ابحاثنا .



الثقافة

لا يستطيع شعب العيش ما لم يكن مكتفياً مادياً ، ولا يستطيع الحصول على الاستقلال والنهضة ما لم يكن مثقفاً .

تعد الزراعة او الصناعة اقوى مقومات الوطن الواحد المادية التي تسهل له سبل العيش والبقاء ، كما تعد الثقافة من مقوماته المعنوية والخلقية في سبيل الاستقلال والوحدة والنهضة .

قال الدكتور ق. زريق : «يجب ان يكون للثقافة اساس شعبي تقوم عليه . ولا تعد الامة مثقفة ثقافة تامة اذا كانت ثقافتها تختص بطبقة واحدة ، او طبقات معدودة بل يجب ان يكون الشعب باكمله مثقفاً ، قادراً على الاستقلال الفكري ، والاعتماد على النفس ، والشعور بالطمأنينة الانسانية ، والحس بالكرامة القومية . ويجب ان يكون هدفنا تربية هذا الاعتماد والشعور والحس . »

يمكن تحسين الثقافة في بلادنا من عدة وجوه ، اهمها توحيد البرامج الدراسية والكتب اذا امكن ، ثم الاهتمام بالتعليم المدرسي الذي يشمل التعليم الابتدائي والثانوي ، فالجامعي .

وعلى الحكومات الحالية ووزارات التربية ان تعمم

التعليم المجاني بقدر المستطاع ، وتخفض اجور التعليم .

ثم الاهتمام بتعليم ابناء الريف والبنات كالاهتمام بأبناء المدن والصبيان .

تعد البنات نصف الامة ، وعلينا باحياء هذا النصف وجعله عاملا فعالا في المجتمع . والاهتمام بالتعليم المهني والزراعي والصناعي ، والثقافة العملية والتخصص بجانب العلوم النظرية ، وتعزيز العلوم التطبيقية امر لايستهان به .

اود ان اذكر في هذا الحديث ايضاً مبلغ اهمية تدخل الحكومات بشأن المدارس الخاصة ، التي اصبحت في بعض الحالات مدارس تجارية .

والامر الاخير الذي اعلق عليه اكبر اهمية هو تعديل برامج الدراسة ، وحذف البرامج الاجنبية الغير مفيدة ، وعدم الاتكال على الكتب الاجنبية في المدارس الحكومية والخاصة لان هذه الكتب ، وخاصة كتب التاريخ والجغرافيا ، تصور حياة الغرب ومحاسنه وتقتل الروح القومية .

لم توضع هذه الكتب لبلادنا ، بل وضعت خصيصاً للاجانب . وهي انما تأتي الينا عن سبيل التجارة ، وليس عن طريق الثقافة فحسب .

على الحكومات ان تشجع الكتب العربية وتعليم العلوم باللغة العربية . وانه لمن المؤسف جداً ان نجد معظم شبابنا وشاباتنا يجيدون اللغات الاجنبية اكثر من لغتهم الام .

لايرجع الخطأ في ذلك كله الى الشعب وحده ، بل

الى الحكومات التي ما زالت متعلقة باهداب الاستعمار .

دعيت مرة سنة ١٩٥٤ الى لجنة مختصة بتعديل برنامج التعليم في لبنان من قبل وزارة التربية والفنون الجميلة . اما البرنامج ، فهو موضوع بالفرنسية ، ومترجم الى العربية . وبينما كنا نعرض المسائل على بساط البحث ، استغربت ان اجد لغة الاجتماع قد تحولت من العربية الى الفرنسية بسرعة ، وكأنما اللغة العربية عاجزة عن اداء المعاني اللازمة .

اليس هذا غريباً ؟

ليس ضرورياً ان تكون دلائل الاستعمار الجيوش والبنادق ، فان الاستعمار الثقافي الغير مباشر اشد خطراً من ذلك .

واول خطوة فعالة نخطوها الى الامام في تربية النشىء تربية علمية قومية صحيحة ، هي تعزيز اللغة العربية القادره على كل تعبير وليس من يتهمها بالضعف الا الذين يجهلونها ولا يعرفون طاقتها تمام المعرفة .

نجد مما تقدم ان مشكلة العالم العربي ليست سياسية فقط ، ولا اقتصادية ولا ثقافية ولا اجتماعية ، بل هي مشكلة معقدة تتركب من هذه كلها . ولا يمكنني ان اذكر اكثرها اهمية لانها متعلقة ببعضها بشكل يصعب على اي فرد الانفراد بواحدة منها وتعليق الاهمية عليها .

وسوف انهي بحثي هذا بكلمة القاها الدكتور شارل مالك على مسامع الطلاب في الجامعة الاميركية في بيروت

في مارس ١٩٥٥ حيث قال : « ان نهضة البلاد العربية ترتكز دعائمها على الزراعة والثقافة العلمية والصناعة » . واضاف انه اذا بقيت الدول العربية على حالها فقد تنساب الثروة من بين ايديها هدراً ، ولا تستفيد منها .

وقال عن مستقبل البلدان العربية :

« ليس لنا مستقبل مستقل عن مستقبل بلادنا ، ومستقبل بلادنا يرتكز على نشاطنا الفردي ضمن الجماعة » .

واضاف ايضاً انه من الممكن ان تكون بلادنا العربية غنية بالمواد الخام على ان جهلنا لاستعمال هذه المواد يجعلها عديمة الفائدة .

وختم خطابه بقوله : « على العرب ان يقووا انفسهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وعقلياً وروحياً . يجب ان يفتش العرب عن صداقة اينما وجدوها ممكنه (١) . ويجب ان لا يضيعوا اوقاتهم بالافتخار في الماضي الغابر ، ولا بعزاء النفس بامكانيات المستقبل » .

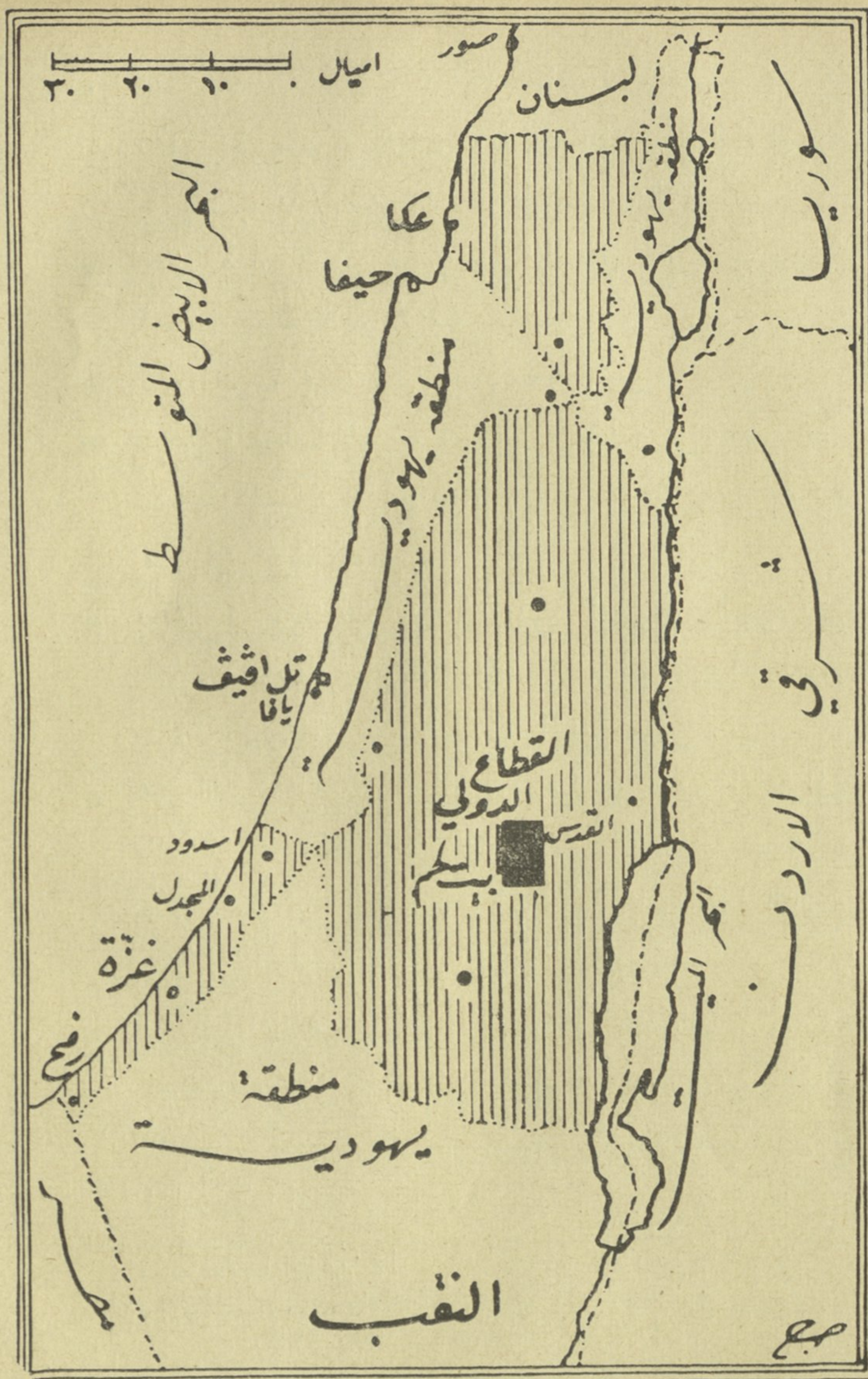
هذه هي مشكلتنا ايها القارىء ، يتكلم رجال سياستنا عن الاخطاء وماهية الاخطاء ، ويكررون في كل يوم وفي كل ساعة ما كرروه مئات المرات ، ولكنهم لايمدون ايديهم الى الدواء .

---

١ - ربما عنى بذلك صداقة الولايات المتحدة على الاخص .

- كان يملك اليهود سنة ١٩٤٨ مليون ونصف دنم من اصل ٢٥ مليون دنما . وبذلك تبلغ ممتلكات اليهود ما يقارب ٧ ٪ من مساحة فلسطين فقط .
- اعطى قرار التقسيم ٤٠ ٪ من فلسطين لليهود ، والباقي للعرب دون النظر لاهمية ما سبق .
- كان الحرب ، وشرد ٩٠٠,٠٠٠ لاجيء .
- مكن انسحاب العرب لليهود الاستيلاء على ٧٠ ٪ من مساحة فلسطين ، اي ما يعادل ضعف الارض المقررة من قبل هيئة الامم .
- يعيش ما يزيد على ٩٠ ٪ من المزارعين اليهود على اراضٍ عربية . تؤلف محاصيل الزيتون والحوامض كمية كبرى من صادرات اسرائيل .
- يحتم القانون الدولي ، والذي ينص على عدم الاعتراف بالدولة اذا حصلت على اراضٍ لها بواسطة الحرب ، ان تتخلى اسرائيل عن هذه الاراضي . طبق هذا القانون في كوريا ، ولكنه لم يطبق في فلسطين !
- لن نقبل بالتعويض لانه يعتمد على حسابات زائفة لمصلحة اسرائيل . وليس لحكومة عربية الحق بقبول التعويض ما زال اللاجئون مصممين على عدم بيع اراضيهم واملاكهم لليهود .

اخذت الاحصاءات عن مقال : Plunder in the Holy Land, by Henry Cattan. Published in al-Kulliyah Magazine issue of Feb. 1955



اميال
١٠ ٢٠ ٣٠
صور
لبنان
سوريا
عكا
حيفا
البحر الابيض المتوسط
منطقة يهودية
تل ابيب
يافا
القطاع الدولي
القدس
بيت لحم
اسدود
المجدل
غزة
رفح
منطقة يهودية
النقب
شرق الاردن

بالرغم من اصطراع عوامل الفناء

والبقاء داخل جدران اسرائيل ، تدل

العلامات ان اسرائيل دولة قوية تستطيع

مقاومة اي بلد عربي منفصل ...

لكنها لن تفعل ذلك ...

ولن تجرب محاربة البلدان العربية ، لا

متحدة ولا منفصلة في الوقت الحاضر ، لانها

تركز اهتمامها الاول ضمن حدودها .

الفصل الرابع

ضعف اليهود وامكانياتهم

سوف نشرح في هذا الفصل امكانيات ارض فلسطين الطبيعية ، وكيف انها ستساعد اسرائيل كي تصبح قوية باستطاعتها مقاومة الدول العربية .

هذا اذا عمرت اسرائيل ، وترك لها العرب المجال في التوسع في مجالات الحياة من جميع نواحيها .

الشعب اليهودي شعب حي . واني اراهم كالديناميت في قلب الامة العربية النابض ومركز الشرق الاوسط التجاري والستراتيجي - فلسطين .

بقي اليهود خلال الالفي سنة الغابرة اسم مشترك مع المال وحب الثروة . واليهود اليوم اغنى الشعوب اقتصادياً واوفرهم مالا . اعني بالخصوص يهود اوروبا واميركا .

ان المشاكل الاقتصادية التي تواجه اسرائيل ما هي الا خيالات عابرة ، وما ازدياد عدد السكان ، سوى قصة اليوم وحقيقة الغد . نجاح اسرائيل مضمون ايها العرب اذا لم تعمدوا الى انفسكم وتتيقظوا الى العدو الكامن على ابواب دوركم . فان مركز فلسطين يمنع المواصلات السهلة بين البلدان العربية ، وهي بمثابة القلب لهذه البلدان اذا اردنا توحيدها لجعلها امة

حديثة بالذكر ، ووضعها في مصاف الدول الكبرى .

اسرائيل قوية اكثر مما تتصورون . ولم أرَ عاملا يهدد كيان اسرائيل سوى الوعود والتهديدات اللسانية التي يوجهها الشعب العربي من آن الى آخر ، وكأنما الافعال بالاقوال .

وانا انصحك ايها العربي ان تقرأ هذا الفصل بتمعن لترى حقيقة قوة اسرائيل الكامنة في ارضها ومركزها وشعبها ... انها حياة جديدة تنطلق كالشوكة في عين العرب . انها عدو العرب ، في عقر دارهم . واذا لم تع هذه كلها وتسعى بتفهيم غيرك الخطر الذي يواجهنا به اليهود نكون خسرنا عاملا قوياً يستطيع الفهم والتعمق والتبصر في الامور .

لا يمكننا ان نبني الحقائق على الحدس والتصور دون التعمق والتبصر . فان الذين يعتقدون ان عوامل الفناء تدب او قد دبت في اسرائيل لهم على خطأ مبين . فهم يبنون حجتهم هذه على لا شيء .

تضمن اسرائيل لنفسها الحياة دون العرب ودون التعاون معهم . ربما لا يعتقد الكثيرون من العرب ذلك ، ولكنهم على خطأ . وحجة هؤلاء ان اسرائيل تسعى الى الصلح باغلى الاثمان . والى هؤلاء اقول ان محاولات الصلح ليست الا عاملا مؤكداً لثبات كيان اسرائيل بسرعة ،

وليست عاملا اساسياً في حفظه .

ولو كان كيان اسرائيل مهدداً في الوقت الحاضر في حال اختلال التوازن السياسي العالمي ، فقد تثبت اسرائيل امام اعظم اختلال في السنين المقبلة بعد ان تتم مشاريعها الاعمارية من صناعية وزراعية وتجارية وعلمية وغيرها .

لن ييأس شعب من متابعة النزاع في سبيل البقاء عندما لا يجد سوى السبيل الواحد ، وهو البقاء في اسرائيل والاعتماد عليها . الصلح مع اسرائيل مستحيل ، لان ذلك لا يعتمد على الحكام بل على الرأي العام . والرأي العام لن يكل عن اعداد العدة في سبيل محاربتها والقضاء عليها.

بالرغم من اصطراع عوامل البقاء والفناء داخل جدران اسرائيل ، تدل العلامات على ان اسرائيل دولة قوية تستطيع مقاومة اي بلد عربي منفصل ، لكنها لن تفعل ذلك . ولن تجرب محاربة البلدان العربية ، لا متحدة ولا منفصلة في الوقت الحاضر ، لانها تركز اهتمامها الاول ضمن حدودها .

فان مشاكلها الاقتصادية في سبيل انشاء المصانع وتعزيز مستعمراتها الزراعية التي لا تزال بدائية والتي تعتمد في تمويلها على الدولة ، ومشاكلها السياسية في سبيل استدرار العطف العالمي في سبيل الدعاية وجباية الاموال ، ومشاكلها العسكرية في سبيل حفظ كيانها وحدودها من الهجوم الغير منتظر ، ومشاكلها الاجتماعية في سبيل حل المشاكل الناتجة عن اختلاف عاداتها وتقاليدها من الشرق والغرب ، ومشاكلها الحزبية التي

تهدف الى عدة سبل ، كل هذه تحول دون تركيز قوة اسرائيل في محاربة العرب لتخلق لنفسها مشاكل اكثر مما تتوقع .

تسعى اسرائيل اليوم للصلح كي تستطيع حل مشاكلها، وبعد الصلح يمكنها متابعة النشاط العسكري في سبيل التوسع.

على العرب ان لايتركوا مجـــالا كبيراً من الوقت لليهود لأنهم يحاربوننا الآن كما حاربونا بالامس ، يحاربوننا بالاستعداد ، وبتقوية انفسهم .

فاذا كنا من ابناء الحياة علينا ان نحارب اسرائيل .

* * *

سوف نبحث امكانيات اليهود المادية والمعنوية في آن واحد . وسوف نقصر البحث — دون الاسهاب — على العوامل الهامة التي تبني عليها اسرائيل سياستها في سبيل بقائها .

لذلك نذكر ما اتت به الابحاث (١) عن امكانيات اسرائيل المادية .

كانت مشكلة اسرائيل في بادىء الامر امكانية جمع يهود العـــالم في بقعة صغـــيرة على شاطىء المتوسط .

والحقيقة الواقعة التي اثبتها اليهود هي ان سعة الارض لعدد ما من السكان لايعتمد فقط على مساحتها ونوعية ارضها ومكانها ، بل تعتمد في الدرجة الاولى على الشعب الذي

١ - اخذت الاحصاءات في هذا الفصل عن كتاب The Rape of Palestine

يعيش فوق هذه الارض .

فاذا كان الشعب قادراً فعالا ذكياً مجتهداً ومختبراً استطاع ان يتكاثر بسهولة في قطعة صغيرة من الارض . والبلاد التي برهنت على هذا هي بلجيكا وهولندا .

اما الدوافع التي دفعت اليهود ليفعلوا كما فعلت هذه البلاد اهمها : اعتقادهم بقوة الانسان ، والطاقة والذكاء ، والخبرة ، والادارة ، والمال ... واهم ما ذكر — الحاجة الماسة .

كانت فلسطين في الازمان الغابرة مركز البلدان التي حولها ولا مانع من جعلها واحدة كذلك اليوم . فهي بلاد تربتها متفاوتة وطقسها معتدل ، بلاد جبال ووديان وسهول وبحيرات وانهار وتلال وتربة خصبة . والجدير بالذكر ان سكان فلسطين اليوم لايزيدون عدداً عن سكان الجليل فقط ايام المسيح !

وقد دلت احصاءات نفينسون ان باستطاعة غرب فلسطين تحمل ما يزيد على الاربعة ملايين نفس بكل سهولة ، وكانت إحصاءات مود تقدرها ما بين الخمسة والستة ملايين.

كانت جبال فلسطين فيما مضى جبال خضراء مزروعة بكروم الزيتون والعنب ، وكانت تشبه صقلية وايطاليا الجنوبية باخضرارها . اما اليوم فالاشجار فيها قليلة .

تعد ارض فلسطين من الاراضي الخصبة المعتدلة . ففدان واحد من الارض المسقية باستطاعتها انتاج سبع

محاصيل من الحلفاء سنويا ، وما يعادل ٣٥ طناً . بينما كانت تنتج مصر خمسة محاصيل بالسنة وكمية لا تزيد على ٢٥ طناً للفدان الواحد .

واذا فعل اليهود بغربي فلسطين كما فعلوا بالقرب من يافا من المشاريع الزراعية ، فقد يقدر ان هذا القطاع الغربي باستطاعته اعالة ٨ ملايين نسمة .

لنأخذ بلداً على هذا مثالا ، وهي بلدة هرتسليا التي تبلغ مساحتها ٧٥٩٩ دونما والتي اعالت فيما مضى ١٦٢ شخصاً تستطيع الآن ان تعيل ما يزيد على الستة آلاف بسهولة متناهية .

كانت فلسطين بلاد لم يعرف سكانها قوتها الكامنة وقد عرف الانكليز ذلك ولكنهم تغاضوا عنها ، وكانوا يمنعون اي ابحاث تدور في هذا السبيل .

وعندما اتى اليهود واتى معهم العلماء والبحاثون والمهندسون أخذوا يفجرون بطن الارض في كل مكان للبحث عن المعادن والبترول ... والحياة .

وبينما اكدت الحكومة الانكليزية المنتدبة عدم وجود الماء الكافي في فلسطين ، نجد الابحاث الجديدة تكذب هذه وتعلن للملأ خيانة الانكليز .

كانت تقول بريطانيا في تقاريرها ان فلسطين بلاد فقيرة لا ماء فيها ، ولا تصلح للاستعمار . وكان ذلك لتحفظ فلسطين لها مركزاً استراتيجياً في الشرق الاوسط ، ولكي

تعمي ابصار الدول الكبرى عن الخيرات الكامنة في فلسطين .

بالكاد ان تجد جزءاً من فلسطين لم يكن يوماً ما عامراً مأهولا بالسكان ، مما يدل على امكانية وجود المياه في تلك المناطق ، حيث كان يعيش الناس على الزراعة .

تتطلب مشاريع الري مجهوداً حكومياً وليس فردياً ، وبما ان الحكومة الانكليزية لم تكن لتهتم بمصالح الشعب ، فقد بقيت مياه فلسطين في باطنها تنتظر اليهود حتى اذا جاءوا اجروا الابحاث الكثيرة ، لانهم علموا ان الماء ايضاً حياة .

تدل الاحصاءات على ان المياه الموجودة على سطح الارض فقط في فلسطين تزيد على الثلاث مليارات من الامتار المكعبة ، واذا اعتني بهذه الكمية من الماء فقط فقد تسقي عشرة اضعاف ما تسقيه اليوم .

وقد اقترح المهندس هوسدروف تحويل جزء من مياه الاردن في قنال ينحدر نحو البحر الميت ويهبط عن ارتفاع ٤٠٠ متر .

والطاقة الناتجة عن ذلك قد تستطيع سقاية مليون دونم في جنوب فلسطين . واضاف الدكتور وربر ان باستطاعة النقب ايواء ٥٠٠،٠٠٠ شخص ، هذا اذا حولت الماء من على التلال المجاورة الى الصحراء .

يعتقد المهندسون اليهود والاجانب اهمية مشاريع الري في تقوية الزراعة . ولذلك قاموا بعدة مشاريع منها مشروع

تجفيف مناطق الحولة ، وريها بالطريقة الملائمة . ثم مشروع العوجا ، ومشروع المقطع لسقاية جزء كبير من مرج ابن عامر . ثم مشروع جونستون الذي يهدف الى سقاية جزء كبير من اراضيها بعد اقتسام مياه الاردن مع الاردن نفسها . (لن يقبل العرب بمشروع جونستون لانه يخلق مصالح مشتركة مع اليهود ، وهذا معناه اعتراف بكيانها (١).

بالرغم من قلة الارض المزروعة في فلسطين الآن ، والتي لا تزيد عن ٢٥ ٪ من مجموع الاراضي ، فقد استطاع اليهود ان يغطوا اكثر من نصف الاستهلاك المحلي الزراعي وهذا دليل لا بأس به (٢) .

اذا استطاع اليهود اتمام جميع هذه المشاريع فقد يمكنهم تصدير بعض مزروعاتهم الى الخارج .

مشكلة الزراعة في اسرائيل إذن ليست مشكلة الارض المناسبة ، بل مشكلة ري لا غير . ومشكلة المياه فيها ليست بالكمية او بنقصانها ، بل بكيفية استعمالها وتحويلها الى المناطق التي يراد اسكانها . ومعدل هبوط الامطار في فلسطين يزيد على ٢٥ بوصة في السنة .

هذا وقد برهن المهندسون الاميركيون وجود المياه في اماكن لم يأملوا ان يجدوها فيها كالهضاب الجافة والمناطق الصحراوية .

١ - الا اذا اضطرت الحكومات العربية الى ذلك وتأويل العلل والنتائج.

٢ - لا نستطيع ان نعطي العدد المئوي الصحيح لان اسرائيل تتطور تطوراً سريعاً يصعب على كتاب اللحاق بذكر هذه التغيرات .

قال الخبير المائي جوليوس : « لا يوجد مكان ما في فلسطين لا يوجد فيه الماء » .

برهن اليهود في اسرائيل ان بامكان المستعمرات ان تعتمد على نفسها فلا تحتاج الى الواردات من الخارج . وبرهنوا ان باستطاعتهم زراعة اي نوع من الفواكه والخضراوات التي يحتاجونها .

ويجرب اليهود الآن في المختبرات اذا كان بامكانهم زراعة بعض الفواكه والمزروعات التي لم ترها فلسطين قط . وانهم يقومون ببعض المشاريع لصناعة السكر وزراعة المواد الخام الضرورية لذلك .

تعزز حكومة اسرائيل هذه المشاريع وتشجعها ، كما تشجع صناعات تعليب الخضار والفواكه وصباغة الجلود وحياكة القطن . وقد ذكرنا سابقاً مشاريع التحريج التي قام بها اليهود كي يستغنوا عن جلب الاخشاب من الخارج

اما المواد المعدنية في فلسطين فانها موجودة بكثرة كافية . فهنالك كميات وافرة من النحاس جنوبي الميت . وفي منطقة العقبة كميات اخرى من النحاس والمانغانيز ، وتقدر هذه الكميات بخمسة ملايين طناً . هذا عدا كميات كبيرة من الجبس الذي يصنع منه الجبس الجاف Plaster of Paris كما انه وسيط جيد لمزج الالوان ومصدر الزيت الزاج (اسيد سلفريك) .

وفي فلسطين ايضاً كميات عظيمة من المواد التي تستعمل

في صنع الاسمنت وكميات لابأس بها من البصلت (Basalt) وكميات اخرى من الرخام الملون ، وكميات عظيمة من رمال الزفزف التي تستعمل في البناء .

توجد كذلك كميات كبيرة من الاسفلت الذي يستعمل في صناعة الصباغة والورنيش . وعملية استخراج الاسفلت هذا رخيصة جداً مما يسهل استعماله لتزفيت الطرقات .

اما الملح الصخري فانه موجود بكميات متفاوتة ويمكن استعماله مع كميات اخرى من الكبريتور (Sulphur) والمواد الفوسفاتية في الكثير من الصناعات الكيماوية .

وقدر علماء الجيولوجيا الحكوميون وجود عدة ملايين من اطنان الكبريتور في غزة وحدها .

توجد في فلسطين ايضاً المواد اللازمة لصناعة الزجاج والطباشير التي تستوردها البلاد من الخارج ويمكنهم صنعها بكل سهولة . ويوجد في تربة فلسطين ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون طن من الحجر الكلسي المشبع بكمية من الزيت تتراوح بين الخمسة والخمسة والعشرين بالمائة . وهذه الكميات موجودة جوار النبي موسى وصفد وترشيحا في مقاطعة الجليل .

كميات الزيوت هذه كافية لتزويد متطلبات اسرائيل لمدة تزيد عن القرن ، دون الحاجة الى غيرها من البلدان . كان الانكليز قد قرروا الاعتماد على هذه الكميات

من الزيوت في حال اي طارىء يخرب انابيب البترول الموصلة من العراق الى البحر الابيض ابان الحرب .

دلت الابحاث ايضاً على وجود البترول بالقرب من غزة والغور . ولم تشجع الحكومة البريطانية حفر الآبار هناك حفظاً لمصالح الشركات الاجنبية التي تعمل في مختلف البلدان العربية ولصعوبات الحفر ، وغيرها من الاسباب السياسية .

وصف احد العلماء الجيولوجيين ارض فلسطين بانبوب من المواد الكيماوية اللازمة للصناعات المختلفة . واضاف ايضاً ان مياه البحر الميت وحدها تحتوي على كمية من البوتاس المستعمل في صنع البارود والسماد الكيماوي تستطيع ان تمد العالم بمليون طن بالسنة ، لمدة الف سنة !

يحتوي البحر الميت على ٢٠٠٠ مليون طن من كلوراد البوتاسيوم و ١١٩٠٠ مليون طن من ملح الطعام و ٢٢٠٠٠ مليون طن من كلوراد و ٦٠٠٠ مليون طن من كلوراد الكالسيوم و ٩٨٠ مليون طن من برومين الماغنيزيوم .

وفي قعر هذا البحر توجد كميات من الذهب الخام تعادل ١٠ مليارات ليرة . على ان حكومة الانكليز تمنع اي ابحاث بهذا الشأن ، وتسمح فقط باستخراج الاملاح .

فهل تسمع اسرائيل ؟

اما الصناعات الاخرى التي تستطيع اسرائيل الاستفادة

منها هي صيد الاسماك .

كانت تستهلك فلسطين ٣٣٪ من اسماكها ، وكانت البواخر الاجنبية تصطاد الاسماك من الشاطىء الفلسطيني للبيع والتعليب .

فلسطين اذن غنية بمعادنها وتركيب تربتها ومركزها . اغتنم اليهود الفرص العديدة باعتمادهم على هذه القوى الكامنة التي تركت قروناً دون ان تمس . وبنوا عليها آمال اقتصاديات اسرائيل .

قام اليهود بصناعات متعددة منها صناعة الورق وصناعة السكر وصناعة الادوية والعقاقير اللازمة ، وصناعة السماد الكيماوي للاستهلاك الزراعي المحلي ، وصنع الادوات الكهربائية البسيطة ، وصنع الآلات الزراعية التي تهدف الى تحويل الزراعة البدائية الى الزراعة الفنية الحديثة .

هذا ولا يخفى ان اسرائيل تستورد بترولها من الخارج ويكبدها ذلك نفقات عديدة .

لذلك رأت دولة اسرائيل ضرورة القيام بابحاث علمية عن البترول على نطاق واسع ، وتعاقدت لذلك مع عدة شركات ، وفروع شركات ، للتفتيش عن البترول . والذي يشجعها هو امكانية وجود البترول في منطقة النقب .

اذا وجد اليهود البترول في هذه المنطقة او في المناطق الساحلية فقد يعني ذلك لهم شيئاً كثيراً ، ويكونوا تمكنوا من

اعتمادهم على بترولهم الخاص بدل من اعتمادهم على البترول المستورد .

تكون بذلك امنت اسرائيل جانبها في حال نشوب حرب عالميه ثالثة او اضطراب الامن العالمي .

ليست الشركات الاجنبية التي تعاونت وتعاقدت مع اسرائيل الا فروع شركات تستغل الزيت العربي ، فهل نستطيع فعل شيء ازاء ذلك .

برأيي اننا نستطيع فعل اشياء ، في المستقبل القريب .

والصناعات التي تعتمد عليها اسرائيل في سبيل الانتاج والاستهلاك ، والتصدير ايضاً ، هي صناعة الاسمدة الكيماوية وتركيب السيارات . صناعة الاسمدة مهددة لعدم تعاون الدول العربية مع اسرائيل . فالاسواق التي يمكنها ابتلاع هذه الكميات الهائلة من الاسمدة الكيماوية هي الاسواق العربية . وبما ان هذه الاسواق قد اغلقت في وجهها ، فلن يكون مصيرها سوى التقاعس ، والتقهقر الى الوراء .

اما صناعة السيارات (١) فهي صناعة زائفة ولا يمكننا اعتبارها صناعة بالمعنى الصحيح . علينا ان نسميها تركيب السيارات من قطع واردة من شركة اجنبية .

شاهدت احدى هذه السيارات وركبت بها فشبهتها باسرائيل . لها شكل مغرٍ وكيان يظهر كانه ثابت . وعندما

---

(١) سيارات كايزر

تركب في الداخل ، تراها تهتز في جميع اجزائها . لا ثبات فيها ، قطعها ملتصقة اكثر منها مركبة ، وهي لا تثبت لمدة طويلة ، تزور الكراجات ، كما تزور اسرائيل الولايات المتحدة ... للترقيع والتصليح .

ماذا يحل باسرائيل اذن اذا لم تفتح لهـــا الاسواق العربية ابوابها ؟

هذا سؤال اجاب عليه الاقتصاديون والسياسيون اكثر من مرة في الكثير من تصريحاتهم .

الحل هو التجارة مع الشرق الاقصى وشاطىء افريقيا وتركيا وقبرص وغيرها .

لا تجد اسرائيل صعوبة في تجارتها مع تركيا وقبرص لانها تتصل معها في البحر .

اما كيف يمكنها الاتصال مع البلدان الشرقية وشواطيء افريقيا ؟

هذا سؤال آخر ، اهم من الاول . فالطريق الشرعي الذي يمكنهم استعماله هو قناة السويس .

واذا ابت مصر ان يستعمل اليهود هـذا القنال بحجة ان البلدين في حالة حرب ، وهذا ما تفعله مصر بين الحين والآخر ، فما عسى اسرائيل ان تعمل ؟

عرفت اسرائيل ذلك ، ولكنهـــا حلت المشكلة . وهذا الحل يكلفها اثماناً باهظة ، ولكنها ستمضي في السبيل الى الوصول اليه ، اذ لا هدف غيره لتأمين تجارتها مـــع

البلدان المذكورة .

اسرائيل احدى البلدان القليلة المحظوظة بوضعها الجغرافي وهي البلد الوحيد الذي يمكنها الاستغناء عن قنال السويس، لان ارضها تصل البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر على السواء .

يفكر اليهود الآن ببناء قاعدة تجارية (ويمكن ان تكون حربية) على البحر الاحمر وبذلك يكونوا اتصلوا بالاسواق الشرقية دون المرور بقنال السويس . ولست ادري كم سيكلفهم هذا المشروع في سبيل انشائه .

. . . وليس شيء بالمستحيل .

تعتمد اسرائيل في تمويل مشاريعها الكبرى على ثلاثة مصادر رئيسية :

١ - القروض والمنح المالية من يهود العالم ، ومن اميركا وفرنسا وغيرها .

٢ - التعويضات الالمانية عن الخسائر التي لحقت اليهود ابان اضطهادهم وتشريدهم من المانيا . وهذه التعويضات كلها تكون جزءاً لا بأس به من ميزانية اسرائيل .

وعدا عن التعويضات النقدية هنالك تعويضات بالآلات الزراعية والصناعية .

٣ - الرساميل الخاصة ، واصدار السندات الانشائية . واكثر رؤوس الاموال المستثمرة في المشاريع داخل اسرائيل اصحابها يهود ، لان الارباح التي تأتي من هذه المشاريع

تكاد لا تؤمن رأس المال .

ولا يمكن لاجنبي ، مهما بلغت به الحماقة ، ان يستثمر امواله في دولة غير مستقرة ، وان يكون مشروعه مرتبطاً ببقاء اسرائيل او فنائها .

تستعمل اسرائيل معظم الاموال في مئات المشاريع الانشائية والصناعية والزراعية . كما ان ميزانيتها العامة تعتمد على المصادر الثلاثة المذكورة . والجدير بالذكر ان نسبة ميزانية دولة اليهود بالنسبة للسكان اكبر من اي دولة عربية .

يركز اليهود اهتمامهم ايضاً في بناء وتعزيز الموانىء في جنوب فلسطين لتخفيف الضغط عن ميناء حيفا ، واستعداداً للطوارىء .

يتفق علماء الصحة على ان مناخ فلسطين من احسن المناخات في العالم . ويمكن جعل شواطئها بلداناً تضاهي كان ونيس . وسوف يصبح خليج حيفا احد مراكز العالم للسياحة .

وفي طبريا والحمة مياه معدنية تضاهي تلك الموجودة في المانيا وفرنسا . هذا عدا عن اهمية ميناء حيفا ومركزه في الشرق الاوسط .

عاش في فلسطين ١٢ مليون نسمة ايام الرومان برخاء من العيش ، فهل يستطيع اليهود ان يفعلوا ذلك ؟

... أجل ، انهم يستطيعون.

* * *

. . . اختلاف الشعوب هذا يضمن
في نفسه قوة فعاله ، اذا استطاعت الدولة
كيف تكون من هذه الطاقة عنصر
الوحدة والالفة نحو العمل الواحد المفيد
المؤدي الى هدف معين — وهو نهضة
اسرائيل .

اذا كان اليهود ينتظرون ظهور المسيح (مسيحهم) ، عليهم ان يعلموا ان المسيح قد أتى .. وهو دافيد بن غوريون . ولم لا ؟ الم يحقق لهم اوهام ارض الميعاد.

ينظر اليه اليهود الشرقيون كالرجل الوحيد الذي اتى بهم الى ارض الميعاد وجمع شملهم ، وضم اشتاتهم .

فكرة واحدة تستطيع ان تصور لك الحياة الاجتماعية داخل اسرائيل وهي وجود ما يزيد على ستين نوعاً من اليهود ، من مختلف انحاء العالم والحضارات والمدنيات .

احتاجت اسرائيل في بدء نشوئها رجالا يحمون حدودها من عدوان العرب الذين يحيطونها من جميع الجهات ، ما عدا البحر .

احتاجت اسرائيل الى خبراء فنيين وعمال كي يديروا صناعتها ومزارعها المستحدثة . وبذلك اخذت تتسرب اليها العائلات من المانيا والنمسا وايطاليا والعراق واليمن ورومانيا وافريقيا الشمالية وغيرها .

كان الاختلاف بين هؤلاء اليهود عظيماً جداً . كان اليهودي الاوروبي يتعجب عندما يعرف ان اليهودي اليمني لا يستعمل الصابون ، ولا يعرف البيجاما . واصبحت اسرائيل خليطاً من مختلف الشعوب ... المتقدمة منها والمتأخرة ، المتكلمة بمختلف اللغات ، زيادة على لغتهم العبرية .

وكانت مشكلة حكومة اسرائيل بعد ان امتلأت بيوت العرب اللاجئين باليهود ان يبنوا لهم بيوتاً مؤقتة ، تتسع لعدد محدود من الاشخاص . لذلك عاش اليهود مدة طويلة في الخيام ، التي لم تكن تضاهي خيام اللاجئين العرب في البلدان العربية ، وكانت حالتهم تعيسة يرثى لها .

علاوة على الصعوبات المادية التي واجهت اسرائيل في هذه المدة فقد وجدت صعوبات اشد اهمية واعظم خطراً ، وهي المشكلة الاجتماعية ، الناتجة عن اختلاف هؤلاء اليهود ، وكيف تستطيع الدولة مزجهم كي يصبحوا وحدة وثيقة العرى مرتبطة الاواصر . فقد بقيت مشكلة الزواج ضمن نطاق عائلي خاص ، وليس على نظام اوسع .

والجدير بالذكر ان اليهود الذين اتوا الى فلسطين معظمهم من المشردين والعمال ، والقليلين من اصحاب الاعمال الكبيرة في البلاد الاخرى .

اما الذين هاجروا الى اسرائيل في الثلاث السنوات الاولى من الهجرة المنظمة فقد كانوا جهلة مشردين ، لا تجد بينهم من يعرف صنعة او مهنة الا نادراً .

بذلك اجبرت اسرائيل على البداية من لا شيء .

اختلاف الشعوب هذا يضمن في نفسه قوة فعالة اذا استطاعت الدولة كيف تكون من هذه الطاقة عنصر الوحدة والالفة نحو العمل الواحد المفيد المؤدي الى هدف معين وهو نهضة اسرائيل . هذا شرط ان لا يكون الاختلاف

كبيراً .

اما اذا نظرنا الى اليهودي الشرقي بالنسبة الى اليهودي الالماني مثلا ، نجد ان الأول يتخلف قرناً عن اليهودي المتمدين اقتصادياً ، وخمسة قرون ثقافياً . اما صحياً فباستطاعتك وصفه كمستشفى متحرك جامع للامراض : من التراخوما والدمامل والقرحات ، الى داء السل وما اشبه . تصغر هذه الفروقات امام الهدف الكبير حتى لا تعود ذات اهمية .

عرف زعماء الدولة الفتية اهمية هذه الفروقات فعملوا على تبديدها ، وكان ذلك بواسطة النشاط الاصلاحي ، والتعليم المشترك ، والتدريب العسكري .

كان التلامذة ولا يزالون يتعلمون تاريخ اسرائيل ، والقومية الصهيونية ، والوعي الاجتماعي ، واللغة العبرية الصرفة . واسست الدولة الجمعيات والنوادي ، وكان ذلك كله في سبيل التوحيد الاجتماعي .

نجحت دولة اليهود بجمع هذه الشتات وصهرها في بوتقة واحدة الى حد ما .

يظهر ان مشكلة اسرائيل ليست اجتماعية ، لان الفروقات الاجتماعية ، والتي يعلق عليها الاقليميون الانهزاميون اكبر اهمية ، ما هي الا خيالات عابرة عندما تتوفر الحاجة الماسة للوحدة والألفة .

برهان اسرائيل كاف لأقناع العربي الذي لا يؤمن

بالوحدة ، لانه يعتقد بالفروق الاجتماعية .

الفروق الاجتماعية في البلدان العربية ضئيلة جداً بالنسبة للفروق التي انصهرت في دولة اليهود اذ أن اليهود الذين اتوا الى اسرائيل انما اتوا اليها من مشارق العالم ومغاربه — من اقصى بقاعه واعرقها حضارة وتقدماً . ومع ذلك اجبرتهم الحاجة الى الاندماج وتكوين عنصر فعال يحارب العرب .

ليست مشكلة اسرائيل اجتماعية ، وانما مشكلة اقتصادية. المعيشة صعبة في اسرائيل لقلة الموارد الغذائية وقلة الاعمال رغم كثرتها .

اجبر الاطباء الكثيرون على العمل كسائقي سيارات ، او كتاب ، او مقاولين ، واجبر الكثيرون ممن كانوا يملأون الوظائف الكبيرة في البلدان التي كانوا يعيشون فيها على العمل في رصف الشوارع ، واعمال البناء ، وما شابه . ووجد الكثيرون المقاهي مرتعا خصباً لقتل اوقات الفراغ .

بالرغم من مصادر الاموال التي ذكرناها سابقاً لتكوين الميزانية العامة وقيام مشاريع الاعمار والاسكان الضخمة ، يدفع السكان ما يعادل ٤٠٪ من دخلهم للحكومة بشكل ضرائب متنوعة .

لذلك سئم الكثيرون من اليهود الحياة فيها وتاقوا للعودة الى مواطنهم الاصلية . فتكاثرت الهجرة الى الخارج بطرق شرعيه ، وغير شرعية . والسبب الأهم في هذا الاضطراب الداخلي هو كما ذكرنا مشكلة اقتصادية .

اما العرب الذين يعيشون في اسرائيل ، لا يمكننا ان نعدهم احياء ، لان الحكومة الاسرائيلية سلبتهم حقوقهم في الكلام والتنقل والعمل ، حتى ولو في اراضيهم وعقر دورهم . وهم يشددون عليهم الخناق كي يخرجوهم من بيوتهم بطرق مشروعة تحت ظل الدستور والسياسة العالمية . وبعد ذلك يقوم اليهود بتهويد العرب ، وذلك ببناء المستعمرات حول المناطق العربية وبينها ليكثروا من التخالط مع البقية المتبقية .

بالرغم مما يلاقيه اللاجئون في البلدان العربية ، يكفيهم انهم يفضلون التحاف السماء وافتراش الارض وذوق الحرمان والعمل الشاق في سبيل الرغيف على ان يعيشوا عيشة الذل والهوان ضمن اسوار اسرائيل .

* * *

كان يدير سياسة اسرائيل الداخلية البرلمان المؤلف من ٣٧ عضواً .

كان هذا البرلمان في البدء مؤقتاً ريثما تهدأ الحال لتكوين حكومة ثابتة .

قبلت احكام البرلمان لمدة التسعة اشهر الأولى الخطرة دون بحث وانتقاد ، وكان يترأس هذا البرلمان دافيد بن غوريون ، الرئيس التنفيذي السابق للوكالة اليهودية .

وفي هذه الفترة القصيرة من الزمن تقدم مجلس الدولة هذا بمشاريع ضخمة كاعلان الاستقلال ، والغاء قوانين الورقة البيضاء التي جربت الحد من الهجرة وشراء الاراضي ،

وتعيين اول محكمة عليا ، وصك العملة الاسرائيلية ، واختيار علم الدولة الجديدة .

بدأ ساسة اليهود بتأليف الكنيست سنة ١٩٤٩ ، وانتخبوا وايزمن رئيساً للجمهورية ، والفوا دستوراً سموه « الدستور الصغير » يضم كيفية انتخاب رئيس الجمهورية بواسطة الكنيست ، واعمال الرئيس ، وتأليف الوزارة ، وعلاقة الوزارة مع البرلمان .

عين دافيد بن غوريون رئيساً للوزارة وطلب منه تأليفها . كان الكنيست مجموعة محكمة منظمة من النظم البريطانية والاوروبية — خاصة فرنسا وبلجيكا مع قليل من التعديلات . وقد اقترح رؤساء الحكومة ان حق التشريع يجب ان يكون للحكومة . وبعدذلك يوافق عليه الكنيست ، او يعدله ، او يرفضه .

بدأت قوة الكنيست تزداد عندما اصبح له حق النظر في الاعمال الادارية الحكومية وانتقادها ، وعين مراقباً يقدم له التقارير الخطية عن الاعمال والمصاريف والسياسة التي تتبعها مختلف الوزارات .

علاوة على ذلك عين الكنيست تسعة لجان ومنحها حق الاستفسار عما يجري بالدولة . وكانت هذه اللجان اقوى من الكنيست نفسه .

نستطيع القول ان حكومة اسرائيل باجمعها تؤلف وحدة تنوب عن الشعب الاسرائيلي باجمعه . للاحزاب اهمية

كبرى في الدولة . ولا يقدم رجـال الكنيست رأيهم الخاص في مشاكل الدولة ، بل رأي الحزب والجمعية التي ينتمي اليها الاعضاء . وبذلك يدين عضو الكنيست بكرسيه للحزب المنتمي اليه ، وليس للمقترعين .

لم يكن في اسرائيل مقاطعات كما في بريطانيا وفرنسا واميركا ، بل كانت الاحزاب هي الدولة وهي التي تكون الشعب .

وقد اصدر الكنيست قراراً يمنح فيه كرسياً للحزب الذي يستطيع ان ينال اكثر من واحد بالمائة من اصوات الشعب الاسرائيلي . على ان هذا القرار وجد الكثير من المعارضة .

كان الرئيس وايزمن اقل ساسة البلاد عملاً . كانت سلطته كسلطة رئيس الجمهورية الفرنسية . وكان عمله يقتصر عـلى امضاء القوانين ، وتوقيع المعاهـدات الاجنبية بعد مرورها بالكنيست ، وتعيين النواب السياسيين بعد موافقة وزارة الخارجية .

ومـن اهم اعماله تكوين وزارة جديدة في حالات حرجة تقع فيها البـلاد . والقوة الحقيقية في البلاد كانـت تـتركز بيد رئيس الوزارة . وكان مجلس الوزراء يجتمع مرة كل اسبوع للبحث في شؤون الدولة برئاسة بن غوريون . ومما ساعـد نشاط الحكومة السياسي هو ظهور مجلة سياسية تصدر بعد موافقة مجلس الوزراء على محتوياتها .

كانت تتمشى اسرائيل على قوانين مستعارة من بريطانيا. اما الدستور ، فقد كان مشكلة جديدة في اسرائيل الفتية ، وعندما طرح الاقتراح للتصويت قرر الكنيست بعدم كتابة الدستور ، وكان ذلك باكثرية خمسين صوتاً مقابل ثمانية وثلاثين . وقرر البرلمان وضع دستور بواسطة التطور ، وتزاد البنود على هذا الدستور عند الحاجة اليها واكتشافها .

كانت حجة المعارضين لكتابة الدستور عدم ضرورة الاسراع في طباعة دستور يعتمد على النظريات ، بينما تحتاج البلاد الى دستور يتفق ومتطلبات الزمن . واعتقدوا بوجوب اختمار الدستور هذا بين ايدي المشترعين العالميين المختبرين قبل كتابته . فقد اخذت الثلاث عشر ولاية الاميركية خمس عشرة سنة لتقرير الدستور بعد تنقيحه اكثر من عشر مرات . واعطى هؤلاء برهاناً من جميع الدول كفرنسا وبريطانيا مقنعين اضدادهم بعدم وجوب تقرير الدستور .

ادعى من ارادوا الدستور ان التشبيه بين اسرائيل واميركا وانكلترا وفرنسا بعيد جداً . فبينما تطورت هذه البلدان رويداً ، كانت اسرائيل وليدة القرن العشرين ، سريعة النمو ، عجيبة التركيب .

قالوا ايضاً ان باستطاعة اسرائيل ان تنتخب ما يلائمها مما انتجته خبرة الايام في الدول الكبرى ليوافق الحياة الاسرائيلية .

نظر العالم الى اسرائيل نظرة العالم المستفسر . فقد

وجدت هذه الطفلة بين بلاد عربية تكن لها البغضاء والكراهية ، وتهددها بالموت والفناء بين وقت وآخر . وانتظر جميع الساسة بصبر كي يروا اي نظام من الحكم تتبعه اسرائيل .

فهل تتمثل بيريطانيا او الولايات المتحدة او فرنسا، ام انها ستجد الشيوعية خير حل لها !

اعتقد انه لولا تأثر العقلية اليهودية بالشعوب الاوروبية وخاصة انكلترا والولايات المتحدة ، لاختارت الاخيرة كالحل المناسب . وربما اعتقدت روسيا ذلك الاعتقاد في بادىء الامر ولذلك ساعدت اليهود .

كان الاعتقاد ان اقتصاديات اسرائيل هي التي ستشكل الحياة العقائدية فيها لانها اقوى من غيرها من العوامل . فاليهود اليوم في ضيق اقتصادي شديد لولا المساعدات الخارجية والقروض التي نالتها من اميركا .

* * *

ننتقل الآن الى اشد الامور حساسية ، واكثرها تعقداً ، وهي سيكولوجية اسرائيل .

لايمكن لانسان ان يشرح سيكولوجية امة بالمعنى الصحيح لانه لايعتمد على احصاء علمي يقوم به بتوجيه الاسئلة اللامتناهية ، كي يصل الى الهدف الذي يتوخاه.

وحتى تعرف سيكولوجية الامة بالذات ، لا نستطيع الاعتماد الكلي على سيكولوجية فرد معتدل من ابناء تلك الامة . ذلك لان سيكولوجية الجماعة تختلف عن سيكولوجية

الفرد .

سوف نبني تفسيرنا اذن على الظواهر والاعمال التي تنتهجها اسرائيل في سبيل وصولها الى الغايات المنشودة .

نهتم اولا بالميول التي تميل اليها ، والظواهر التي تهتم بها ، والاعمال التي تقوم بها ، والعقائد التي تعتنقها ، والسياسة التي تنتهجها .

تكون المظاهرات الشعبية اذن ، والاضرابات ، والانتخابات البرلمانية ، والسياسة الداخلية والخارجية ، والمستوى الاقتصادي والعلمي الذي يكتفي به الشعب اسساً لاغنى عنها في هذا التحليل .

شرحنا سابقاً الصعوبات الاجتماعية التي تواجهها اسرائيل وذلك للفروقات الشاسعة بين السكان بالعادات والتقاليد والمفاهيم والثقافة .

هنالك عاملان هامان يتغلبان على هذه الصعوبة وهما

اولا — الخطر الواحد الذي يواجه اسرائيل ، فهي مهددة في كل آونة بالانهيار.

ثانياً — الشعور القومي والديني الذي يؤمن به اليهود.

اليهود شعب عاش لنفسه ، وتزاوج في ذاته ، ولم يختلط مع الشعوب الاخرى ، وكان تشريدهم عاملاً هاماً في اعتناقهم فكرة الصهيونية والرجوع الى تاريخهم القديم.

لذلك يعتقد اليهودي انه قريب كل يهودي آخر ، اينما حل واينما وجد ، مهما اختلف عنه بالعادات والتقاليد وما اشبه .

يرون اسرائيل بيتهم الذي تركوه اجيالا يعبث به الدخلاء والاجانب . والآن يعتقدون ان اسرائيل ، هي اسرائيلهم ولا يتركونها الا بابهظ الاثمان .

فمن الناحية العقائدية نستطيع القول ان بالرغم من وجود الاحزاب السياسية التي تتطاحن ايام الانتخابات فكلها تهدف الى المحافظة على اسرائيل والتخلص من الحصار العربي .

اسفرت الانتخابات التي اجريت في ٢٦ تموز سنة ١٩٥٥ عن فوز حزب حيروت الارهابي بالمرتبة الثانية . والمعروف ان حزب حيروت هذا الذي يترأسه بيغن ، اكثر الاحزاب تطرفاً وعداء للعرب . يدل ذلك على ميول اليهود الاخيرة واعتمادهم على الارهاب في الدفاع .

تطاحنت الاحزاب كثيراً واخذت تتهم بعضها قبل الانتخابات . وما ان انتهت الانتخابات حتى عاد العمل .

ليس الاختلاف بين هذه الاحزاب كالاختلاف بين الاحزاب في البلدان العربيـــة . يقع اختلافهم في السبل والمبادىء . يختلفون بوجهة النظر والعمل الذي يسيرون في سبيله لتعزيز اسرائيل . المهم ان هدفهم هو واحد – اسرائيل فقط .

اما الاحزاب العربية فلم تتفق على الهدف المرسوم . فمنهم الاقليميون الضيقو التفكير ، ومنهم الاتحاديون على نطاق صغير ، ومنهم القوميون السوريون ، ومنهم العروبيون.

يختلف هؤلاء على الهدف الذي يسعون اليه وهم لا يعلمون انهم يسعون الى هـــدف واحد وهو الخلاص من

الضيق الاقتصادي وقلة الاعمال ، والتخلص من بقايا الاستعمار والانتفاع ، والسعي الى الدفاع عن البلاد عند الحاجة .

تختلف احزاب اسرائيل اذن عن الاحزاب العربية من حيث الهدف .

تعيش اسرائيل على اعصابها ، فالحكومة والاحزاب والشعب على معرفة بالخطر الذي يواجههم في المستقبل . اسرائيل كلها حدود ، وهذه الحدود كلها تكن لها البغض والكراهية .

لذلك تعاضدت جميع القوى في اسرائيل لجعلها حصناً حربياً منيعاً . فجعلت الحكومة التدريب العسكري اجبارياً في المستعمرات وخاصة على الحدود . ثم ربطت المستعمرات على الحدود والبلدان التي بالداخل حتى يسهل على الجيش التجول من منطقة الى اخرى بسهولة متناهية . ثم جعلت اسرائيل التدريب على النظام الالماني ، وهو النظام الذي تأثر به زعماؤها ايام جولاتهم في المانيا .

يدربون الشباب اليهودي على استعمال احدث الآلات الحربية وافتكها ، ويعلمونه ان الحرب واجب مقدس والاستشهاد في سبيل اسرائيل دعوة للاستيطان في ارض الميعاد .

يعلمونهم ذلك في المدارس ، وفي خارج المدارس ، وهدفهم الوحيد هو خلق اسرائيل العسكرية المحاربة ، المدافعة عن حقوقها ، وثباتها في قلب الامة العربية .

يرجع عهد تكوين القوات المسلحة في اسرائيل الى سنة

١٩٠٨ ، عندما الف اسحق بن زفي فرقة الحرس المحلي التي انضمت مع غيرهـا من الفرق لتأليف الجيش النظـامي – الهاجانا تحت ادارة الوكالة اليهودية ، المعترف بها من قبل الحكومة البريطانية .

كانت هذه الفرق قبل ان تصبح الهاجانا ، جزءاً من الجيش البريطاني في الحرب العالمية الاخيرة فنالت تدريباً لا بأس به .

نستنتج مما سبق ان استعداد اليهـود لخوض معركة فلسطين لم يكن عفو الساعة . استعدوا للحرب مدة طويلة فتمرنوا وتعلموا كي يصلوا الى هدفهم الأوحد . وعند الحرب الفلسطينية اجتمعت جميع الاحزاب وضمت رجالها المحاربين في جيش واحد لمحاربة العرب تحت قيادة موحدة وخطة مرسومة فتغلبوا .

آمنت اسرائيل بالقوة ولا تزال تؤمن بها . وهي تضع كل قواها اليوم في الناحية العسكرية . وتحتفظ لذلك بجزء كبير من ميزانيتها لحفظ الجيوش استعداداً للطوارىء .

تكلفها الجيوش الاحتياطيـة والنظاميـة اثماناً باهظة تستغني عنها فيما لو عقدت الصلح مع الدول العربية . وهذا المال المصروف لحفظ الجيوش وتدريبهم باستمرار يكبدهـا مصاريف عديدة يمكن استثمارها بمئات المشاريع لرفع المستوى الاقتصادي في البلاد .

اذا خاضت اسرائيل الحرب مع العرب تجرب الانتهاء منه بسرعة لان امكانياتها لا تسمح لها بالصمود الطويل على

طول الحدود . ويكون وقوف جيش عربي موحد على الحدود كافيا لاضعاف قوة اليهود المعنوية وخلق الاضطرابات داخل الحدود .

وما يخيف اليهود اثنان :

اولا – امكانيات العرب غير المستثمرة .

ثانياً – العدد

لا تستطيع امكانيات اسرائيل المستثمرة ان تقف امام امكانيات العرب اذا استثمرت . واما من جهة العدد ، فباستطاعة العرب ان يضعوا اكثر من عشرين محارب امام كل محارب يهودي دون الارهاق في اعمال البلاد الداخلية .

يعيش اليهود اذن في فلسطين في خوف دائم ، ويشكل العرب خطراً عليهم في حال اي اضطراب او حرب مع الخارج . لذلك تراهم يحاولون تهويد العرب الباقين في فلسطين وتطويقهم بالمستعمرات اليهودية من كل جانب ، ويحدون من حريتهم في التنقل والعمل كي يقطعوا صلاتهم مع غيرهم من العرب .

. . . ولهم في ذلك سياسة خاصة .

علاوة على اهتمامهم بالناحية العسكرية فهم يقيمون للسياسة العالمية وزناً كبيراً ، والتي تهدف الى ابقاء اسرائيل سليمة في حيز الوجود .

حبذت اسرائيل مثلا سياسة الاحلاف التي يسعى اليها الاميركيون والفرنسيون والانكليز .

ولسياسة الاحلاف هذه طابع ظاهر ، وطابعان خفيان :

اما الطابع الظاهر ، والذي يدعم فكرة الاحلاف ، والذي يعده المسؤولون والكتاب السبب الرئيسي في تكوينها ، يعتمد على ضرورة الدفاع المشترك في الشرق الاوسط .

والطابعان الخفيان اللذان لم يذكرهما الكتاب بعد ، واللذان يعرفهما الكثيرون هما :

الحد من تأثير الشيوعية في الشرق الاوسط . واعني بالتأثير ، التأثير الغير مباشر ، كانتهاج المبادىء الشيوعية عن طريق الدعاية ، والتأثير المباشر في حال محاولة روسيا التدخل بامور الشرق السياسي ، وبذلك مصلحة اميركا .

والطابع الاخير والاهم هو حفظ كيان اسرائيل من العدوان العربي .

وسياسة الاحلاف هذه تتبعها الدول الغربية بعد ان فشلت المحاولات التي قامت بها لعقد الصلح بين العرب واليهود فاذا كان هنالك تحالف عسكري بين العرب واميركا وبين. اليهود واميركا ، اصبح التحالف بعد ذلك بين العرب واليهود .

عفواً ، لا تظن ايها القارىء ان هذا خطأ في علم المنطق . ولا يهمني ان وافق علم المنطق على ذلك ام لم يوافق ما دامت الحقائق تبرهن ما سأقول .

اولا : كلنا نعلم ان الولايات المتحدة تعد من اغنى واقوى بلاد العالم مادياً ومعنوياً . لا غرو في ذلك ، فكلنا نعلم ان الولايات المتحدة نشأت جديداً ولم يتسع لها

المجال لاستعمار الدول الضعيفة في هذا الشرق وفي افريقيا .

يرجع ذلك كما ذكرنا لحداثة عهدها حيث كانت مهتمة بنفسها في بادىء الامر . وعندما تقدمت هذه الولايات ، وملأت القارة الاميركية ، وركزت قواعدها على اسس ثابتة وعلى ارض عذراء ، عمدت الى الصناعة والزراعة والتجارة .

اما الآن وبعد ان نالت الولايات المتحدة كل ما صبت اليه من رفاهية اقتصادية ، فتحت كتب التاريخ فوجدت الكنز الدفين في هذا الشرق. وجدت البترول ووجدت الموقع الستراتيجي .

بعد ان عرفت الولايات المتحدة ان حربها القادم مع روسيا السوفياتية سيكون مسرحه العالم ، اخذت تهيء هذا المسرح ، وليست سياسة الاحلاف الا لمصلحتها فقط .

اطرح سؤالا بسيطاً عليك ايها القارىء :

ما معنى الحلف ، ايا كان نوعه ، بين دولة مثل اميركا ، وبين اي دولة عربية ؟

هل معناه ان اميركا تغار على مصلحة العرب الذين يبعدون عنها آلاف الاميال ، او هل ما تدعيه اميركا صحيح ? انها تريد استتباب الامن العالمي ... ? لماذا اذن تبني اميركا القواعد العسكرية الحربية في كل مكان مناسب ?

وهل يخفى على اي عربي ان اميركا تساعد اليهود ، ولولاهم ، ولولا الانكليز ، لما تشرد آلاف اللاجئين ?

هل كان عملهم ذلك في مصلحة العرب ?

كلا ...

اليس من المعقول ان من بنى بيتاً يحاول الحفاظ عليه ؟

بنت اميركا اسرائيل وساعدتها في كل ناحية من نواحي حياتها فهل تتخلى عنها الآن ؟

كلا ...

قال سفير اميركي : « ليس من الممكن ان تتعاون اميركا عسكرياً مع الشرق الاوسط ما دام هنالك كتلتان تتسابقان في التسلح ، وكل تهدف للقضاء على الاخرى . وحتى تتعاون اميركا مع الشرق الاوسط عليها بخلق الانسجام والتآلف بين دولة اليهود والبلدان العربية .

والتآلف معناه الصلح ... والصلح معناه الخذلان .. والخذلان مستحيل . هذا رأي السفير ، ورأي باقي السفراء .

امامي الآن منشورة تدعى الثأر كتبت ما يلي :

نشرت مصلحة الزراعة الخارجية بوزارة الزراعة الاميركية بياناً عن الاعمال الزراعية في دول الشرق الادنى جاء فيه : « ان مشاكل اسرائيل الاقتصادية لن تحل الا اذا انتهت مقاومة العرب لاسرائيل ، وعلى هذا يتسنى لاسرائيل ، ان تستغني عن نفقات التسلح وان تقيم صلات تجارية مع الاسواق العربية . »

هنالك مقالات ومقالات لا مجال لذكرها هنا ، وكلها تهدف الى الصلح وخلق الانسجام والتعاون ، على ان التعاون على ضيم تأباه النفس الابية .

فهل تعتقد بعد ما ذكر ان الاحلاف هي من صالح اميركا واسرائيل ؟

باعتقادي ان الاحلاف بين بلد مثل اميركا واي بلد عربي ، ليس الا نوعاً من الاستعمار الجديد بلون جديد وطابع خاص .

اعربت اسرائيل عن رغبتها في هذه الاحلاف ، ولكنها عارضتها في بادىء الامر حتى يقبلها العرب . وبذلك تكون استعملت اسرائيل سيكولوجية الاطفال .

ولم لا ؟

اليس الرجال اطفالا كبارا ؟

على ان هذه السياسة لم تمر على الشعب فقاومها ، وقاومها الطلاب وراح ضحيتها بعضهم .

لاتزال اسرائيل حديث العالم ، واسمها دوماً على الافواه وعلى صفحات الجرائد والمجلات العالمية . يتناولون مشاكلها وحلولها ويطلبون لها المساعدة بدافع الانسانية .

وبالرغم من جميع المحاولات التي قامت بها الدول في سبيل الصلح ، فلا يزال الشعب العربي مصمما على ان رمح الصهيونية لن تنتزعه الا يد عربية ، والحرية وقف على الشعب الذي يعتقد ان بقاء اسرائيل معناه الداء ، والقضاء عليها

الحياة .

سياسة اخرى تنتهجها اسرائيل هي المناوشات على الحدود . كانت هذه المناوشات اخيراً بينها وبين مصر . ليس ذلك لأن اسرائيل تحب المناوشات ، وليس لانها تريد التحرش للدخول في حرب مع العرب .

اسرائيل اضعف من ان تدخل الحرب مع العرب الآن . انها تستعمل المناوشات كوسيلة لاستدرار العطف العالمي وتوجيه انظاره اليها ، ولتبرهن لهم انها لاتزال مهددة من اعدائها .

والآن .. ماهي الاخطار التي تواجه اسرائيل لتجعلها خائفة من وضعها الحالي ؟

ان الدولة السريعة النشوء ، العجيبة التركيب ضعيفة مهما بلغت فيها مظاهر القوة . خاصة اذا كانت الدولة مثل اسرائيل .

تعتمد اسرائيل في ميزانيتها كما ذكرنا سابقاً على غيرها ولا تزال مشاريعها التي ذكرناها في طور النشوء ، فاذا ما توقفت هذه المساعدات والمصادر المالية ، فماذا يكون مصيرها ؟ وهل يمكن ان تعيش دولة على اكف الأجاويد ؟

عرف اليهود ذلك وهم يجربون الآن الاعتماد على ارضهم واستثمار الاموال التي تأتيهم في تعزيز المشاريع الثابتة .

ماذا يحل باسرائيل اذا حدثت حرب عالمية ثالثة ؟

اولا ، تنقطع عنها المساعدات حيث يهتم الناس

باحوالهم .

وثانيا ، يغتنم العرب فرصة القضاء عليها .

واحسن وقت مناسب للهجوم على اسرائيل هو ابان الحرب العالمية الثالثة ، ان حدثت .

عند ذلك تهتم كل دولة بشؤونها الخاصة وتعم الفوضى، ولا تستطيع اميركا من مساعدة اليهود كما تساعدهم الآن

لاأخجل من القول ان نشوء اسرائيل كان نقطة تحول في العالم العربي ، حتى وفي تاريخ الامة العربية (١) وسوف يذكره المؤرخون العرب وغير العرب سواء رضوا ذلك ام ابوا .

لم تكن الانقلابات الحادثة في البلدان العربية الا نتيجة للفشل في الحرب الفلسطينية (٢) . كانت هذه الانقلابات عسكرية تعاضدها ارادة الشعب . عندما احس القواد العسكريون ان الحكام انما كانوا اذناب الاستعمار ومعاضدي اسرائيل ، قاموا بانقلاب في سوريا وفي مصر . وكانت انقلابات سطحية لم تنجح نجاحاً تاماً في لبنان ، ومحاولات في العراق ، وطرد الفلسطينيين من الظهران لتحرشهم وعقائدهم !

---

١ - يرجو الكاتب ان لا يتهمه القارىء بعدم التفرقة بين معنى العالم العربي والامة العربية .

٢ - ينفي الرئيس جمال عبد الناصر هذا القول ويعتقد ان بذور الثورة اعمق من ذلك .

كفى ان كان وجود اسرائيل حافزاً للشعور الشعبي بعدم صلاحية الحكم ، حافزاً يسرع بالامة العربية نحو الكمال بدل التحول البطيء .

نحن لم نأسف على ضياع فلسطين ، لاننا خسرنا المادة ، فقد كسبنا الروح وأفقنا من الجهل واستيقظنا لنعرف الحق والصواب ، لنعرف امكانياتنا ، واهمية الوطن ، ومعنى العروبة ، وضرورة الوحدة .

لم ينته الصراع بعد ، خسراننا في الجولة الاولى لن يكون الا دافعاً لخوض المعركة الثانية ... الشباب على استعداد .

الم تسمع اسرائيل بالانقلابات في البلدان العربية ؟ الم تحس بالنهضة العربية حولها من كل جانب ؟

كل ذلك يشكل اخطاراً شديدة على اسرائيل الفتية .

نشرت الثأر في عدة امكنة عن لسان ساسة اسرائيل الواردة في جرائدها ومجلاتها اذكر منها ما يلي :

— كتبت جريدة هاآرتس اليهودية الصادرة في تل ابيب مقالا افتتاحياً جاء فيه :

« ان تاريخ السياسة الصهيونية والاسرائيلية حافل بالكفاح الدائم بين تعادل القوى بين قيمتنا الفعلية وبين القيمة العددية للعرب ، ومنذ صدور وعد بلفور وحتى اليوم يستمر الكفاح بين هاتين الحقيقتين ، فمرة ترجح الكم وتارة تتغلب الكيف دون ان يتعين موقف نهائي

لاحدى الكفتين . » ثم اختتمت الصحيفة قائلة : « ان واجب سياستنا هو العمل ما امكن على انتصار فكرة الكيفية على فكرة الكمية . »

وفي مكان آخر قال اليهودي سميلانسكي : « عندما عدنا لارضنا بعد غياب الفي سنة تقريباً ، طلبنا الاعتراف بحقوقنا ، وحين منعنا من الدخول دخلنا بطريق غير شرعي وسمينا انفسنا جريئين وشجعاناً . واليوم عندما يحاول العرب العودة الى دورهم وارضهم التي عاشوا عليها ندعوهم بالمتسللين ، ونطلق عليهم الرصاص ، ونقتلهم . »

وقال عضو الكنيست الدكتور ، آريه آلطمان ، في اجتماع شعبي عقد في اسرائيل :

« ان دولة اسرائيل لم نحصل عليها بالتراضي بل بالحرب ، وكذلك فان الصلح لن نحصل عليه بالتراضي بل بالحرب ايضاً . »

واضاف ايضا :

« اذا طردنا المصريين عن حدودنا ووصلنا الى حدود السويس من هذه الجهة وحدود العراق من الجهة الثانية ، فاننا لا نستطيع الوصول الى الصلح وتأمين الأمن والسلام لسكان اسرائيل وللملايين الذين يتوافدون من المهجر ، بل ان حدود اسرائيل هذه ستنقلب الى عامل مرجح في وضع الشرق الاوسط وتكون محطة انظار الدول الحرة . »

وفي حديث مع ستيفنسون ، عام ١٩٥٣ قال شاريت ردا على مقررات هيئة الامم المتحـــدة باعادة النازحين ، والتعويض عليهم ، وبتدويل القدس : « لن تكون القدس منطقة دولية الا على اجسادنا ... التعويضات ؟ ... لن نقبل عربياً واحداً . ان ارضنا قد اخذت بالحرب والحرب وحدها هي التي تلغيها . »

وفي مناسبة اخرى قال شاريت عن عودة النازحين :

« بسبب الحرب وما تبعها ، لن يعود هؤلاء النازحون لأراضيهم الاصلية ، اما لان غيرهم قطنها واما لاسباب دفاعيـة هامة . المستحيل هو المستحيل ولا مجال للنقاش . »

وفي مناظرة بالتلفزيون ، في الولايات المتحدة ، تحدث ايبا ايبان عن النازحين العرب فقال :

« ليس من سياسة اسرائيل ان تسمح بالدخول اليهـا لمن لا يحترم كيانها وعلمها ، وانه لمن خير النازحين العرب ان يستوطنوا في الدول العربية . »

اقول انهم على حق ...!

فلسطين لمن ارادها . والارادة لن تكون الا بالقوة. بعناها رخيصة ، وسوف ندفع ثمنها غالياً بارواحنا ودمائنـا في سبيل استرجاعها .

☆ ☆ ☆

الحرية تؤخذ بالقوة

وطريقها اشواك تدمي .

الفصل الخامس

معنى الثورة

كان تقدم الانسان الطبيعي مبنياً على اساس التطور البطيء ، على ان التطور البطىء وحده لم يكن كفيلاً بالتغيرات التي نعرفها . كانت هنالك تحولات فجائية حدثت ولم تكن منتظرة لتجعل الانسان كما هو عليه اليوم .

اما الجماعات التي كونها الانسان ، كل في سبيل مصلحته الفردية ، فقد تطورت تطوراً بطيئاً نحو غاية بدائية نستطيع تسميتها — الدفاع .

كانت الحاجة ماسة للتعاون والاشتراك في درء الاخطار التي واجهت الانسان . ثم اخذت تتحول هذه الجماعات بعد مرور آلاف السنين ، الى مجتمعات اكبر واصبح هدفها الدفاع والتعاون والمصلحة المشتركة والدفاع عن مبدأ تعتنقه ، والذود عن حمى تلجأ اليه .

عند ذلك وقف المفكرون في القرون الوسطى وبعدها ينشدون حقوق الفرد وعلاقة تلك الحقوق بالنسبة الى الجماعة التي ينتمي اليها . ولم تمض عدة سنين حتى اجتاحت فكرة القومية بلدان اوروبا ، ومنها الى العالم .

اصبحت تتفرد الجماعات بقطعة من الارض تدعوها الوطن ، وتضع دستوراً ، وتعلن حقها في الدفاع عنها ، وقتال من تخوله نفسه باقتحامها .

عندها وعندها فقط ، وعندما عرف الفرد حقه ونصيبه من هذا الوطن ، اخذ الافراد ينظرون الى حكوماتهم كعامل نشيط في سبيل مصلحتهم . ولن تكون الحكومة او الفئة القليلة التي اوكل اليها امر سياسة البلاد خليقة بالمركز الذي تحتل ، ان لم تضع مصلحة افراد الشعب نصب عينيها .

تطورت هذه الفكرة ، فكانت هي الحد الفاصل بين الاقطاعية والاستئثار ، والمصلحة العامة . وكانت الثورات التي قامت بها الشعوب في انحاء العالم نحو التحرر تحمل طابعاً واحداً وهو — حرية الفرد في اختيار حكامه وساسته . افراد الشعب هم الذين قرروا مصير الامم ، وهم الذين غيروا مجرى التاريخ . لم تستأثر فئة قليلة من الاستقراطيين على الفئة الكبيرة الا ولاقت جزاءها في أوانه .

الثورة على القديم تتحلى بثوب التقدمية نحو الهدف الاسمى ، وتحاول انتاج ما لم تنتجه غيرها من الامم او اللحاق بما سبقتها غيرها من الامم .

الثورة دوماً نقطة انطلاق نحو الجديد ، نحو الابداع ، والرجعية عدوتها اللدود .

ان مميزات الرجعية تجعلها في عزلة عن العالم المتقدم

ومن بين هؤلاء الرجعيين قوم ينظرون الى الحرية ، قوم تفتحت ابصارهم للنور ، فارادوا مباهج الجديد ، ليس لانه جديد ، بل لانه يؤمن لهم حقوقهم ويعتقهم من عبودية الرجعية .

اتصفت الرجعية في البلدان العربية بالتعصب والاقطاع ، والاستئثار والجهل . ولا تزال تتصف بعض البلدان العربية ، او بعض اجزاء الامة العربية بهذه الصفات . وقد ذكرنا في فصول هذا الكتاب مبلغ تأثير الاقطاع والجهل على تقدم البلدان ، والسبيل الى التخلص منهما .

واني ارى التعصب والاقطاع والاستئثار والجهل من من صفات الرجعية ، التي تعد بنفسها ظاهرة مستقلة بدلا من ان تعد كل من هذه الصفات مستقلة بذاتها . فالاستئثار احدى صفات الرجعية التي اتصفت بها الفئة الحاكمة في البلدان العربية . ولولا جهل ابناء الامة حقيقة وواقع حالهم ، ولولا اعتقاد الفئة المستأثرة بحقها من الأقطاع ، لما كان الاستئثار .

تستأثر فئة قليلة بموارد البلاد وتجعل امكانياتها تحت امرها وطوع بنانها فتعيش في القصور ويعيش الباقون على الحضيض .

بنى احد الفلاسفة الغربيين فلسفته على انانية الانسان ، وان كل ما يفعله الانسان ، حتى من الحسنات ، مردها اليه ، ومآلها لمصلحته . والانسان حقاً اناني بطبيعته في كل عمل يعمله ، ويعتبر ان ما يعتقده هو وحده حق .

اقول هذا طبيعي ، واعتقد انه طبيعي من وجهة الغريزة الحيوانية التي يتصف بها الانسان لنزوع شهواته الشخصية.

هؤلاء الاقطاعيون الذين عاشوا وما زالوا يعيشون على موارد الشعب انانيون ، تغلب فيهم الروح الحيوانية فيستأثرون.

هؤلاء الاقطاعيون لم يجدوا امامهم معترض سبيل فمضوا في ترفهم. والذين لم يعترضوهم لم يعترضوا لجهلهم . فالجاهل لا يعرف حقيقة امره ، ولا يفهم انه انسان له حقوقه كما لسيده الاقطاعي .

هناك فئة بين الجاهل والاقطاعي ، وهي الفئة العاقلة الواعية ، وهي التي تعمل في سبيل التعادل الاجتماعي فتعلم الجاهل وتثقفه وتجعله يفهم ما له وما عليه من حقوق ... فيتحمس .

وعندما يزيد الحماس في صدور الفئة الكبيرة ، يظهر القائد على رأسها ويعلن الحق على رؤوس الاشهاد فينهزم الباطل ، وتهرول الرجعية الصامتة المستقرة الى لا رجوع .

عندها ينتصر الحق على الباطل ، ويبدأ الشعب حياة جديدة.

الامتحان محك الشخصية ، كما انه محك شخصية الدولة . تقاس قوة الدولة بقدرتها على حل ازماتها الداخلية والخارجية من اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية وكل ساحة من ساحات الحياة فاذا قصرت الدولة امام احدى العقبات ، احس الشعب بضعفها واعد لها عدة الفناء .

تقف الدولة القوية امام الصعوبات وقفة صامدة وتكون سياستها في سبيل التغلب على هذه العقبات واحدة لا تتغير الا

للاحسن والاقوى .

اما الدولة الضعيفة فقد تقف وقفة المتردد ، الشاك في نفسه ، الجاهل لقواه ، وقوة تلك الصعوبات ، فترتد على اعقابها مخذولة . ينتهز الشعب ، بعد ان يتثقف ، هذه الفرص في سبيل الانقضاض على بقايا الماضي بعد ان يتأكد من عدم صلاحيتها في الحكم ... وبذلك تكون الدولة الجديدة .

* * *

كانت اسرائيل محك الدولة العربية المجزأة وكانت امتحاناً لقوتها واختباراً لسياسة حكامها .

وقف هؤلاء الحكام مذهولين ، لا يعرفون ماذا يفعلون . وقفوا في حيرة من امرهم حتى قضت اسرائيل عليهم واغتصبت منهم جزءاً لا يستغنون عنه .

عندها ، قامت الثورات المحلية في البلدان العربية في الامكنة التي تمكنت بها الفئة العاقلة الواعية — من اثارة الرأي العام وقلب نظام الحكم .

وفقت هذه الثورات في سوريا وفي مصر وكان رجال هذه الثورات ممن يعتمد عليهم ، ومن الفئة العاقلة الواعية .

ومما لا شك فيه ان سوريا ومصر اصبحتا اكثر البلدان العربية ترحيباً بالوحدة العربية جزئياً كانت ام شاملة في سبيل القضاء على اسرائيل . نصت سوريا في دستورها انها ستسعى الى الوحدة. يقسم على ذلك اعضاء البرلمان ورئيس الجمهورية . ونصت الثورة المصرية ان من اعمالها ومعتقداتها محاربة اسرائيل عندما

تجد الوقت المناسب ، لانها عدوة العرب .

برهنت الحرب الفلسطينية ان البلدان العربية المجزأة كيان هزيل يطمع فيه الاغراب بينما يشجع الانهزاميون والاقليميون التجزئة ويعتبرونها افضل . وليس ذلك الا لرجعيتهم وجهلهم امر الواقع . وهم انما يقبلون بالامر الواقع لانانيتهم ، و معظم هؤلاء ممن اسبغت عليهم الدنيا من نعمتها ، وهم في حياتهم مكتفون ، ولا يهتمون بغيرهم مازالوا على رغد من العيش ، لا يفقهون معنى الشعور القومي . لا يعرفون ، او بالاصح ، يتجاهلون انهم يعيشون في عالم القوميات ، وهم لا يزالون في عالم الاقليميات الضيقة .

وقف الاقليميون وقفة رؤساء الدول التي حاربت اسرائيل وصمتوا عن تفسير اسباب الفشل في الحرب الفلسطينية ، وارتد بعضهم الى الصواب عندما ادركوا خطأهم ولم يرتد البعض لتزمتهم بآرائهم فبرهنوا عن ضعف مبين .

تدرك بعض هذه الاحزاب وتعتقد انها على حق . افلم يبلغ بعضها حد الشجاعة للجهار بمبادئها الطائفية المركزية الضعيفة ؟ ومن المؤسف ان يكون رؤساء هذه الاحزاب ممن نالوا قسطاً وافراً من العلم ، وممن وقفوا على ان الاديان العالمية الرئيسية كلها تلتقي عند اهدافها ، واحدة بلبها مختلفة بقشورها . ولا بد ان تزول القشور ويزول معها المتمسكون ... وبعدئذ يتمسكون باللب شاؤوا ام ابوا ، لان الحقيقة هي الجوهر .

برهنت التجارب ان كل دولة تبنى اساسها على اعتقاد ديني وفيها ديانات اخرى ، تفشل . تبنى الدولة على اساس المصلحة المشتركة ، ووحدة التاريخ والآلام ، ووحدة الاهداف

واللسان ، والاحساس بالخطر .

هؤلاء هم اعداء الثورات ، هؤلاء هم الرجعيون الجهلاء ، هؤلاء هم المتمسكون بالقشور الزائلة ، المتزمتون بآراء برهن التاريخ على نضوبها من نواة التقدمية نحو مجتمع افضل .

هؤلاء هم الذين يخافون حدوث تغيير في البلاد حتى لا يتزعزع كيانهم الثابت الذي ان تحرك وقع .

هنالك رجال آمنوا بانطلاق نحو الجديد ، فثاروا على الماضي ، وبذلوا كل غال ورخيص في سبيل رفع مستوى البلاد من جميع النواحي الحياتية . فآزرهم الشعب وصرخ معهم ضد الباطل ، حتى نال ما تمناه .

ليست الثورات التي حدثت في البلدان العربية سوى خطوة اولى في سبيل الوحدة الشاملة بعد ان تتخلص الدول العربية الاخرى من رجعيتها ، دينية كانت او اقطاعية .

كانت هذه الثورات حياة جديدة وصفها جمال عبد الناصر بحركة عملاق افاق من سبات عميق وتعرف الى قوته الكامنة بعد ان خدرته الرجعية مدة من الزمن .

تهدف الثورة الشعبية دوماً الى الافضل كما دلنا التاريخ وكي لا نأخذ مثلاً من الثورات التي قامت في فرنسا واميركا واوروبا الوسطى ، لنأخذ مثال الثورة في مصر التي برهنت ان المبدأ الذي يعتقده الكثيرون من ابناء الشعب لن يبين ويحتل مركزه اللائق الا عندما تدعمه القوة .

اخترت بعض المقطوعات من خطاب الرئيس جمال عبد

الناصر الذي اذاعته الراديو المصرية ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٥ وعلقت تعليقاً ماراً على بعض مقتطفاته آملاً ان يتحسس القارىء التقدم الذي لاقته مصر بعد زوال الملكية الزائفة عهد فاروق المستأثر واعوانه البكوات والباشوت .

اتى يوم يرى به الشعب المصري رجلاً منهم يصافحهم ويبتسم اليهم ، ويدعوهم اخواني . وذهب العهد الذي لم يروا به ملكاً يعيش عالة عليهم ويمتص موارد ارضهم ويسلبهم حقهم من الحياة الكريمة .

حدث ذلك ، وكانت ثورة مصر ثورة عربية مثالية ترينا امكانياتنا وقواتنا التي نستطيع بها اعلاء شأن امتنا. ها هي مصر تصافحكم ايها العرب ، فصافحوها ...

انظروا اليها وانظروا الى مثلها التي تسعى اليها في سبيل اسعاد شعبها ، انهم يعيشون بعزة وكرامة بعد ان وجدوا سبيلهم الحق بعد الضلال .

نستدل من مثل مصر ونهضتها مدى تأثير الاجانب على ثروتنا القومية . دلت الثورة على ان الاحصاءات التي قام بها الفنيون ليست الا تمويهاً وتشويهاً للمعلومات الحقة عن ثروتنا القومية الكامنة والمنتظرة ليد الشعب كي تخرجها الى حيز الوجود .

ستكون ثروتنا القومية اساس امتنا وسوف نجعل من هذه الامة ، امة حرية بالذكر ، امة ترفع رأسها بين الامم ، وسوف نفتخر عندما نقول : نحن العرب افتخاراً حقيقياً ،

وليس اعتباطياً .

* * *

قال جمال عبد الناصر : « لا تنسوا ابداً ان الثورة ثورتكم ، احتملنا نحن عبء اعلانها ، ولكن انتم الذين عملتم لها وفكرتم فيها . » قال ايضاً : « ان باب العمل وميدان المجد لن يقفلا ابداً في وجه المواطنين الصالحين ، فمن قعد بالامس يستطيع ان ينهض ويعمل في الغد . ومن اساء يوماً يستطيع ان يحسن الى بلاده اياماً ، وان الوطن من الجميع والى الجميع » .

هذا هو الوطن في مصر . واما الوطن في غير مصر فلا يزال من الجميع والى الاقلية ، كما كانت مصر قبلا .

وذكر قائد الثورة انه لن يعيد الحياة النيابية القديمة التي كانت بورصة للاحزاب وميداناً للاقطاع والاحتكار .

وقال : « سنقيم حياة نيابية تتيح للمواطنين الصالحين ان يعيشوا ويتقدموا ويكسبوا رزقهم ، ويرفعوا مستوى حياتهم ويساهموا في بناء الامة ، وفي تقدمها ، وفي الاستزادة من عناصر قوتها . حياة نيابية تعين على استخراج ثروتنا ، وعلى استثمارها ، وعلى رد عادية الفقر عن الفقراء والصغار من ابناء امتنا ، حياة نيابية تحررنا من التبعية والعبودية والانقياد للاقوياء الذين يريدون ان يتحكموا في مصائرنا وان يقودونا وراءهم . »

وذكر ايضاً كيف ان الاجانب اقنعوا المصريين بأن ارضهم لا تصلح الا للزراعة ، وبعد ذلك عدد الصناعات التي تقوم بها مصر ، والتي تكشف مآرب المستعمرين تحت القناع . فمن صناعات مصر الحديثة : صنع اطارات السيارات والجلوكيوز ، والحديد والصاب ، وصيد الاسماك وتصنيعها ، وانتاج الخشب المضغوط ، والاسمنت والاسبستوس ، والثلاجات الكهربائية ، والعقاقير ، وادخال النايلون والاسبستوس في صناعة الاقمشة والسجاد والتريكو ، وصناعة السجاد الميكانيكي والتعدين والبترول . وسوف تكون شركات مصرية هي المسؤولة عن البترول وتكريره الذي سيكفي مصر حاجتها منه .

وهنالك بعثات علمية خاصة للتنقيبات الجيولوجية عن المعادن في الصحاري وقد اكتشف من هذه المعادن : المنجنيز والنحاس ، والحديد ، والكروم ، والطلق ، والاسبستوس والكاولين وغيرها ...

هذا عدا الاصلاحات الزراعية وتوزيع المياه ، وانارة الاقاليم ، وبناء المساكن ، واعادة تخطيط القرى وتنظيم الناحية الثقافية وكل مجرى من مجاري الحياة . وقال : « ان هذه المشروعات تمثل حقاً حركة عملاق ، كان قد غرق في سبات عميق ، فبدأت اعضاؤه تتحرك هنا وهنا وتدب فيها حياة جديدة وعندما تكمل الحركة ، وتشمل الحياة الجسد ، ويقف العملاق وقفة كاملة على قدميه ، عندها ستتدفق

الكهرباء من اسوان ومن السد العالي . عندها ستصلح الاراضي البور ، والارض التي نهبتها الصحراء من النيل . عندها سنخرج الحديد والصلب ، وسنصنعه في بلادنا قاطرات وسيارات وطائرات . »

اصدرت مصر التشريعات التي تكفل الثقة اللازمة لرأس المال واستثماره . كما رأت اصدار تشريع موحد للتوجيه الصناعي الى جانب التشريعات التي اصدرتها بقصد توفير بيئة صالحة تشجع الاستثمار وتحفز كبار المدخرين وصغارهم على الاطمئنان الى الاستغلال الصناعي والتجاري .

هذا عدا التحسينات في المواصلات الهاتفية والبريدية ، وبناء السنترالات العديدة ، وتحسين السكك الحديدية والطرقات وبناء خزانات ارضية للمازوت للطوارىء تسع في مجموعها ٦٠ الف طن .

وعندما تكلم جمال عن الجيش قال : « والآن يأتي احب الحديث الى قلوبكم ، والى قلب كل امة تفهم معنى الشرف ، وتدرك السبيل الى حمايته . وليس احب الى قلبي من ان اعلن لكم اليوم اننا سنفتتح هذا العام باذن الله مصانع الذخيرة المتوسطة والثقيلة ، والمسبك الآلي الذي سيكون اضخم مسبك في الشرق ، وبذلك نكون قد دعمنا النواة الأولى للصناعات الحربية الثقيلة .

ان الجيش ايها المواطنون ، هو صورتكم ، وهو قبضتكم ، وهو خلاصة قوتكم ، وحيويتكم ، يعيش لكم وبكم

ويستند اليكم ، ويعتمد عليكم ، وهو عند الشدة ديدبانكم الساهر ، ودرعكم الواقي ، وسلاحكم الباتر فاحيطوه بسياج من الحب ، يعلو قدرنا بين الاعداء والاصدقاء ، ويعرف الجميع اننا اقمنا من تضامننا القومي سوراً عالياً لا يرقى اليه اقوى الاقوياء(١) . »

قال جمال : « ان ميزانيتنا العامة ، وارقامها المفصلة انما تمثل سياسة ، وهذه السياسة بدورها تصدر عن ايمان .

هذا الايمان وحده هو الذي سيعيننا على ان نسير في طريق واضح ، والى غاية ثابتة ، لا نتردد ولا نتخبط ، ولا نتراجع ، ولا نخاف . قد تعترضنا الصعاب ، وقد تعز علينا مصادر التمويل ، وقد تتعثر بعض خطانا ، ولكننا لن نسلم ولن نستسلم ، لاننا نؤمن بان لنا رسالة ، وان هذه الرسالة انبعثت من اعماق هذا الشعب ، وانبعثت من تاريخه المحمل بآلامه وآماله . نؤمن بانه لا حرية ولا كرامة في ظل الاستعمار ، فلا بد لنا من محاربته ، وان نحرر بلادنا

---

١ عندما سمعت هذه الكلمات تذكرت الجيش الاردني وكونه آلة بيد الانكليزي جلوب الذي يعد نفسه عربياً والذي يقول بضرورة حماية بريطانيا الاردن ضد العدوان اليهودي . وهو الذي ساق الجيش العربي الى سوريا ليخدم اغراض الاستعمار البريطاني ، وسار لمحاربة الجيش العربي في العراق في ثورته على الانكليز عام ١٩٤١ .

فاذا اخذ الجيش الاردني جانب الانكليز ضد العرب ، فهل يكون الجيش الاردني جيشاً عربياً ام انكليزياً ؟

واذا كان موقف جلوب تجاه حرب فلسطين ووعد بلفور ؟

منه . وانه لا تقدماً ولا رخاء ، ولا اتحاداً قومياً في ظل الاقطاع . وان الاقطاع ليس ظاهرة اقتصادية فحسب، بل هو عرض لمرض روحي اصاب البلاد . فالاقطاع الذي جمع ثروة البلاد الزراعية في ايدي قلة ، الذي صرف الناس عن الصناعة والتجارة . وهو الذي بعث في الناس التواكل ، والتراخي . وهو الذي احال حياتنا السياسية الى هذا الزيف الذي عرفناه خلال ثلاثين عاماً .

كانت مدلولات الالفاظ تمتهن ، وحقائق الحرية تداس ، وعرض البلاد القومي ينتهك في ظل الدستور والبرلمان »

ومن اجمل ما قال :

« الحرية في امة فقيرة تستجدي اقواتها من غيرها ، وتعيش عالة على سواها ، ولا يجد ابناؤها ما يسد الرمق ، وما يستر العورة هي حرية مزيفة . اما الحرية التي تحميها المزارع التي تخرج الغلال والاقوات ، ضرورات الحياة وكمالياتها ، فحرية عزيزة مصونة الجانب يرهبها الاعداء ، ويحرص على صداقتها الاصدقاء . »

كتب جمال عبد الناصر كتيباً اسماه « فلسفة الثورة » فاسرعت في قراءته .

قلبت صفحات الكتاب حتى انتهيت منه فتنهدت وقلت في نفسي :

هذا هو الرجل الذي كنت أفتش عنه في ظلمات الليل ، هذا هو الرجل الذي يعتقد ان الحاجة ام الحياة

هذا هو الرجل الذي فتحت عيناه للنور فراى . واراد ان يري غيره ، فقال في مقدمة الكتاب ان بحثه ليس الا داورية استكشاف في الميدان الذي يحارب فيه المعركة الكبرى من اجل تحرير الوطن ..

هذا هو الرجل العملي الذي اوجد نظاماً بعد الفوضى واستقلالاً بعد الاستغلال .

هذا هو الرجل الذي يعتقد انه حقق ثورتين في آن واحد :

ثورة سياسية استرد شعبه الحق في حكم نفسه بنفسه ، وثورة اجتماعية تصارعت بها طبقاته لتحقيق العدالة .

وكان لهذا الرجل ان يحارب الارستقراطيين السابقين ويغضب الملاك والساسة القدماء والكثيرين من الموظفين . ويقول في كتابه فلسفة الثورة :

« انا ادرك اننا اغضبنا كبار الملاك .

لكن ، هل كان الا نغضبهم ونترك لهم تربة وطننا وفينا من يملك منها عشرات الالوف من الافدنة ، وفينا من لا يملك قطعة يدفن فيها بعد ان يموت !

وانا ادرك اننا اغضبنا الساسة القدماء .

ولكن ، هل كان يمكن الا نغضبهم ونترك وطننا فريسة لشهواتهم وفسادهم وصراعهم على مغانم الحكم ؟

وانا ادرك اننا اغضبنا عدداً كبيراً من الموظفين .

ولكن هل كان يمكن ان نعطي اكثر من نصف

ميزانية الدولة مرتبات للموظفين ولا نستطيع - كما صنعنا بالفعل - ان نخصص اربعين مليونا من الجنيهات للمشروعات الانتاجية ? »

وجد هذا القائد نفسه في خطر عندما كان يحارب في فلسطين لانه كان يحارب في ارضه ، فقال :

« ولما بدأت ازمة فلسطين كنت مقتنعاً في اعماقي بان القتال في فلسطين ليس قتالاً في ارض غريبة ، وهو ليس انسياقاً وراء عاطفة ، وانما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس » .

وقال في مكان آخر :

هذه هي جيوش اخواننا ... جيشاً جيشاً (١) كلها هي ايضاً محاصرة ... بفعل الظروف التي كانت تحيط بها والتي كانت تحيط بحكوماتها .. لقد كانت جميعاً تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ماتحركها ايدي اللاعبين .

وكانت شعوبنا جميعاً تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمداً حقيقة مايجري ، وضللتها حتى عن وجودها نفسه .

واحيانا كنت اهبط من ارتفاع النجوم الى سطح الارض ، فاحس انني ادافع عن بيتي وعن اولادي ، ولا تعينني احلامي الموهومة والعواصم والدول والشعوب والتاريخ

---

١ - الجيوش العربية اثناء الحرب الفلسطينية .

وكنت مؤمناً ان الذي يحدث لفلسطين كان يمكن ان يحدث – وما زال احتمال حدوثه قائما – لاي بلد في هذه المنطقة ما دام مستسلماً للعوامل والعناصر والقوى التي تحكمه الآن . »

يعتقد جمال عبد الناصر ان البلدان العربية ليست الا « منطقة واحدة ، تقع تحت تأثير نفس الظروف ، ونفس العوامل ... بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعاً ! »

ويقول :

« وكان واضحا ان الاستعمار هو ابرز هذه القوى – حتى اسرائيل نفسها ، لم تكن الا اثراً من آثار الاستعمار . فلو لم تقع فلسطين تحت الانتداب البريطاني لما استطاعت الصهيونية ان تجد العون على تحقيق فكرة الوطن القومي في فلسطين ، ولظلت هذه الفكرة خيالاً مجنونا ليس له اي امل في واقع . »

ثم يردد جمال عبد الناصر في كتابه هذا مدى اهمية التعاون المشترك لدرء جميع الاخطار المهددة واهمية الحاجة، ويقول انه لا يهتم للتاريخ بقدر اهتمامه بالواقع الحالي فيقول:

« ولست اشك دقيقة ان كفاحنا الواحد يمكن ان يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذي نريده له ونتمناه .

ولسوف اظل دائما اقول اننا اقوياء ولكن الكارثة الكبرى اننا لا ندرك مدى قوتنا !

اننا نخطىء في تعريف القوة ، فليست القوة ان تصرخ

بصوت عـال ، انما القوة ان تتصرف تصرفاً ايجابيا بكل ما تملك من مقوماتها . »

يضع جمال عبد الناصر قوتنا في ثلاثة مصادر بارزة : اولها اننا شعوب مترابطة بكل رباط مـادي ومعنوي . وثانيها موقع بـلادنا الاستراتيجي الذي يجعلها ملتقى طرق العالم ، ومعبر تجارتـــه ، وممر جيوشه ، وثالثها البترول العربي .

وينهي جمال كتيبه فيقول .

« ثم اعود الى الدور التائه الذي يبحث عـن بطل يقوم به .. ذلك هو الدور ، وتلك هي ملامحه ، وهذا هـو مسرحه .. ونحن وحدنا بحكم « المكان » نستطيع القيام به ! »

كتبت جريدة « الرأي » مرة تبحث عن البلد القائد فهل نستطيع ارشادها الى ذلك القائد ؟



العروبة فكرة تعتمد على العقل والشعور ، ولا تتعلق بالشكليات الآنية المادية كالانتساب الى بلد ، وهي نتيجة وعي قومي شامل لم يستأثر بها زعيم .

الفصل السادس

ماهية العروبة

اختلف معظم الكتاب في ماهية العروبة ، كما اختلفت اغلب الاحزاب في مبادئها . ومعظم الذين اختلفوا لم يختلفوا اصلاً بل فرعاً . والاهم انهم يتجاهلون او يجهلون ذلك ، وهم عنه غافلون . تظن معظم الاحزاب التي تدعو الى الوحدة باي شكل انها تخالف غيرها هدفا ، ولا تعلم انها انما تخالفها السبيل للوصول الى ذلك الهدف .

قبل البدء بشرح ما سبق وتفسير ماهية العروبة بوجه اخص ، اود ان اشرح « معنى الوحدة » بوجه اعم .

لااعتقد ان كل مايكتب في كتب التاريخ هو الحقيقة الواقعة ، لان هذه الاحداث التاريخية تتألف من شيئين : الوقائع التاريخية التي لا يختلف عليها اثنان ، وتفسير هذه الوقائع التي يختلف عليها الكثيرون وربما لايختلف عليها هؤلاء الكثيرون اختلافاً جوهرياً اساسياً ، بل يختلفون على شرح الاسباب والاحداث المنشئة لتلك الوقائع .

ينظر كل منهم الى الوقائع المذكورة من زاويته الخاصة فلا يرى الا جزءً بسيطاً ، وعندما يريد ترديد هذا الجزء البسيط وبحثه ، يترك مايراه غير مناسب ، ويشرح ويعلق

على مايراه مناسباً ، وبذلك يصبح التعليق ناقصاً بكل مافي هذه الكلمة من معنى ، بل وربما خطأ .

عندما نشرح مثلاً قيام دولة اسرائيل وسبيل القضاء عليها ، تختلف « الدول العربية » في هذا التفسير وينظر كل ملك او رئيس الى مصالح دولته اولاً . ولا يرى من الخطر الاسرائيلي الا مايحفزه للدفاع عن ملكه . هذا في الشرح والتفسير . اما الواقعة التي لا يختلف عليها اثنان هي قيام دولة اسرائيل في قلب الامة العربية .

تكون بعض هذه التفسيرات والشروح اقرب الى الحقيقة « والاعمية » من غيرها لانها تعتمد في تفسيرها على شخص تفهم الاسباب فهماً اعمق ، وتبصر في الامور اكثر من غيره .

ولا يمكن لواحد من الناس ان يتفهم ظاهرة من الظواهر الحياتية حتى درجة الكمال ، لان الشرط الاول في تفهم الظاهرة نفسها هو ان يكون عالماً بكل ما ادى اليها ، وهذا مستحيل فعلياً ، وصعب التصور نظرياً .

لنسأل مثلا : لماذا لم يقبل اليهود الوطن الذي اقترحه لهم الانكليز في افريقيا ؟ لماذا فضلوا فلسطين رغم الصعوبات التي كانت تواجههم آنذاك ؟

كانوا بحاجة الى المال والوحدة وجمع الشتات من جميع اجزاء العالم . لماذا فضلوا العيش بين اعداء لهم من كل صوب على عيشة هادئة ؟

لماذا باعوا ارواحهم لقاء هذه الغاية ؟

هذا مع العلم ان بلاد اوغندا لا بأس بها لقيام دولة فتية مثل اسرائيل .

لا يدعي احد انه يستطيع الاجابة على هذا السؤال اجابة علمية ، ولا يستطيع احد ان يجيب عليه اجابة صحيحة مطلقة لان السؤال بحد ذاته يحمل في نفسه مجاهيل عديدة لا يستطيع انسان واحد حلها .

اذا اعطي تلميذ مثلا مسألة جبرية تحتوي على مجهولين ، يمكن ان لا يفهم التلميذ معنى السؤال . ويمكن ان لا يجد غير مجهول واحد ، ويظن ان هذه المسألة لا تحتوي الا على مجهول واحد ، ويمكن ان يجد مجهولا واحداً ويعرف انه لا يستطيع ان يجد الآخر ، ومع ذلك يعتقد انه يستطع حل المسألة . ويمكن ان يجد مجهولا واحداً ويعرف انه لا يستطيع ان يجد الآخر لصعوبة المسألة وتعقيدها بالنسبة اليه ، فلا يحاول حل المسألة لانه يعتبر ذلك مضيعة للوقت . ويمكن ان يجد المجهولين .

على ان المسألة لا تقف عند هذا الحد بل تتعداها الى فهم علاقة هذين المجهولين في حالتين في نفس المسألة وكتابتها في معادلتين وحلها . وحتى يكون الحل صحيحاً يجب ان تكون الاجوبة لهذه المسألة صحيحة والا ذهب عمل التلميذ سدى حتى ذلك الوقت . نقول سدى لانها لم تأتِ بالنتيجة المتوخاة .

من الممكن ان يأتي تلميذ آخر ويكتشف اخطـــاء الاول فيصلحها ، وربما كان اصلاح الثاني خطأ فيأتي ثالث وهلم جرا. لذلك نجد التلاميذ يجتمعون في معظم الاحيـان لحل مسألة ما كي يبدي كل رأيه في المسألة ويكتشف اخطاء الآخرين.

اعطيت هذا التشبيه كي اثبت صعوبة البرهان العملي على الاسئلة السابقة لانها تحتوي على مجاهيل عديدة يعجز العقل الواحد عن استيعابها وفهمها ، ومعرفة كنهها .

هذا واذا سألت معظم الكتاب او الساسة او المفكرين عن اسباب قيام دولة اسرائيل تراهم يعدون الاسباب عـــلى اصابعهم ، وينسون ان اصابعهم لا تكفى لذلك . ومـع اني ذكرت سته عشر سبباً لقيام دولة اسرائيل ، لا اعتقد ان هذه هي كل الاسباب التي ادت الى قيامها .

جربت حل المسألة وتوصلت حيث قدرت وعرضتها للناس كي يزيدوا عليها . منهم من يرى انـه يعرفها ويعرف اكثر منها ، ومنهم من لا يعرفها فيعرفها .

ان مسألة قيام دولة تتوقف على مجاهيل عديدة ، ويمكنك ان تتصور عدد المجاهيل اذا عرفت اين هي .

تقع هذه المجاهيل في نفسية وفعالية وشعور وكلمات كل فرد من الافراد الذين يكونون الدولة . وحتى تعرفها عليك ان تعرف نفسيات وشعور كل فرد من هؤلاء الافراد ، وكل من كان لهم علاقة بهم .

هل هذا ممكن فعلياً ؟

كلا ...

ربما سألت : وكيف تثبت انه من الضروري معرفة كل ما ذكرت ، لتفهم ظاهرة ما فهماً كاملا حقيقيا ؟

اعطي لذلك مثلا بسيطاً . —

اعرف تلميذاً قصر في الفلسفة وبرز في الرياضيات ، وآخر برز في الفلسفة وقصر في الرياضيات . هب ان هـذين الشخصين دخلا الى مكتبة ، فخرج الاول ومعه كتاب رياضيات ، والثاني معه كتاب فلسفة -- وهذا المتوقع — مع العلم ان فرصة الاختيار اعطيت الى كل منهما . فهل يستطيع من لا يعرف هذين الشخصين ان يعرف السبب ؟

ربما استطاع وربما لا ..

واذا استطاع يكون ذلك تخميناً ، والتخمين لا يعتمد على اساس المسألة علمياً .

ربما يستطيع من يعرف الشخصين التفسير ، ومع ذلك لا يمكنه الاعتماد على تفسيره . على ان المستمع يثق بكلام من يعرفهما اكثر من الشخص الآخر . وفي كثير من الحالات ، في غير هذا المثل ، لا يستطيع انسان تفسير ما فعل ، ويجد نفسه عاجزاً عن تحليل العلل .

هل يدل ذلك على عدم وجود سبب ؟

طبعاً كلا ، هنالك سبب ، وربما اسباب .

وهل من الضروري معرفة هذا السبب او الاسباب لشرح الظاهرة ؟

بالطبع .

قلنا ان ظاهرة كهذه تنتج عن عدة اسباب ، فهل يكفي سبب واحد او بعض الاسباب التي يعرفها بعضهم للتفسير ؟

— اذا كان السبب او الاسباب اساسية كفت ، وان كانت فرعية لا تكفي . ويمكن الاعتماد عليها على مدى قربها من الحقيقة واهميتها .

وهل ينتج عن ذلك الفهم ؟

— نعم ، ينتج الفهم ، ولكنه ليس « فهما كاملاً حقيقياً »

وهل يكفي « الفهم الغير الكامل الحقيقي » ؟

— انه يكفي في بعض الأحيان ، ولا يكفي في احيان اخرى . يعتمد ذلك على مقدار تقرب « الفهم الغير الكامل الحقيقي » من « الفهم الكامل الحقيقي » .

وهل يمكن ان نصل الى « الفهم الكامل الحقيقي المطلق » ؟

— اننا نعرف كيفية الوصول الى « الفهم الكامل الحقيقي المطلق » ، ولكننا نقصر عن الوصول اليه لتحديدات الزمن والدوافع الداعية الى ذلك .

ينطبق هذا المثل على كل ظاهرة لها علاقة بادراك الاسباب لمعرفة الظاهرة فهما كاملاً حقيقياً .

اذن ، حتى نعرف مثلاً ماهية كل الاسباب التي سببت نشوء دولة اسرائيل او اي دولة اخرى ، علينا ان نعرف جميع المجاهيل التي لها علاقة بذلك .

ولكن ، هل هذا ضروري ؟

— كلا ... ولو كان ضرورياً لما كان هنالك معرفة كالتي نعرفها .

فعلم الذرة الحديث يجهل الكثير عـن ماهية الذرة وكيفية تركيبها التام ، ولماذا تفعل هذا وذاك ، ولكن العلماء استطاعوا ان يحكموا على طباع الذرة فعرفوا تأثيراتها وخواصها وامكانياتها وطرقها وفعالياتها الخ ... تمكنوا بعد ان عرفوا جزءاً من المعرفة الكاملة الحقة المطلقة كيف يستعملونها ، وكيف يتحاشون اخطارها ، وكيف يجعلونها خطرة وكيف يجعلونها في قبضة يدهم .

لا يزال يعترف للعلماء انهم انما يعرفون نقطـة من بحر ، ولا يعرف غير العلماء في هذا الحقل الا جزءاً بسيطاً من هـذه النقطة .

فاذا واجهتنا مشكلة ذرية مثلا ، فاول مـا نعهد في تفسيره يكون الى هؤلاء العلماء لانهم اكثر فهماً من غيرهم .

وهل يستطيع هولاء العلماء تعليم غيرهم ؟

طبعاً .

وهل يمكن التعليم بطريقة سريعة ؟ طبعاً ، على ان السرعة مهما بلغت تحتاج الى عامل الزمن .

يمكن تطبيق ما ذكر عـلى المجتمعات الانسانية تطبيقاً

سطحياً يعمق كلما تفهم المطبق احداث الظواهر وفعالياتها .

* * *

ربما يتساءل البعض : وما علاقة هذه التفسيرات بالعروبة والاحزاب الهادفة الى الوحدة .. فاقول : ان مثل هؤلاء الذين ينتمون الى احزاب تهدف الى الوحدة – مهما كان نوعها ومهما كان مقدار اتساعها وتضامنها – كمثل التلامذة الذين جربوا حل المسألة الجبرية ، يعرف كل منهم معادلة او اكثر ولكنه لا يعلم ان المعادلات الاخرى التي هو بحاجة اليها موجودة مع الاحزاب الاخرى التي تجرب الوصول الى نفس الهدف .

وكما برهنا سابقاً : « المعرفة الكبرى » التي تقارب « المعرفة الكاملة الحقيقية المطلقة » تزداد كلما زاد الاشخاص الذين يجربون حل نفس المسألة .

ليس العدد وحده كفيلاً بالنجاح ، بل نحتاج الى المقدرة على ايجاد الحل المناسب .

وليس هذان السببان كافيين فقط . فاذا لم تحل المسألة في وقت قصير او في الوقت المناسب ، ضاعت جهود المجتهدين على هذا الحل .

نحتاج اذن الى العدد .. والمقدرة .. والوقت المناسب . يؤلف المجتهدون هؤلاء الاحزاب التي تهدف الى الوحدة مهما كان نوعها . فالذين هدفوا الى وحدة سوريا والاردن ، والذين هدفوا الى وحدة العراق وسوريا ، والذين هدفوا

الى وحدة العراق والاردن ، والذين هدفوا الى وحدة سوريا كما عرفها الزعيم انطون سعادة ، والذين هدفوا الى توحيد البلاد الناطقة باللغة العربية كما تعرفها العروبة ، كلهم عرفوا المسألة وفهموها .

عرفوا ان الداء واحد ، وفتشوا عن الدواء .

اختلفوا لانهم يريدون فلسفة تخصهم فيدافعون عنها ، واختلفوا لان طبيعتهم هي طبيعة الانسان ، من طبيعته التحزب لافكاره وتفنيد آراء الآخرين ولو كانت الآراء متكافئة بالاساس مع افكاره . هؤلاء كثار ، ولو عرفوا انهم انما يهدفون الى نفس الهدف لتعاونوا للوصول اليه بقدرتهم المتضامنة وتوصلوا الى ذلك الهدف ... في الوقت المناسب .

فشلت محاولات ضم سوريا للاردن لان الاولى كانت تحت الانتداب الفرنسي والثانية تحت الانتداب البريطاني . وثانيا كان الملك عبد الله مكروها من الكثيرين الذين اتهموه بالانانية ، فلم يساعدوه .

وفشلت وحدة سوريا والعراق لان نظام الحكم في كل منها مختلف . كانت الاولى جمهورية والثانية ملكية . وكانت العراق مرتبطة ايضا بوعود ووثائق مع الحكومة البريطانية مما لم يسمح لسوريا التورط بمثل هذه الوعود .

والذين هدفوا الى وحدة العراق والاردن فشلوا لتدخل البلاد العربية الاخرى لمنع هذا الاتحاد وتقوية شوكة الهاشميين.

وفشل الحزب القومي السوري (ولا اعتقد انه فشل لانه لا يزال جاداً في الطريق) لتدخل الحكومات ، وكان ذلك نتيجة لتخوفها من نوايا الزعيم وجهلهم حقيقة الامر الواقع الذي لا محالة من حدوثه عاجلا ام آجلا .

اما العروبة فانها لا تزال تنير السبل امام الشباب العربي الحديث للوصول الى الهدف الحق . وهي ناجحة باعتقادي لما تتبناه من مبادئها القومية الواسعة النطاق .

ينتمي العروبيون الى فكرة ، ويكره الكثيرون منهم تسمية انتمائهم الى حزب . لان هذه الكلمة « حزب » تحمل بين ضلوعها معنى التحزب . اما انا فأحبذ فكرة الوحدة ، فكرة الوحدة العربية ، وكل فكرة تهدف الى ذلك .

احبذ اذن فكرة اتحاد الاردن مع العراق على لا شيء . وافضل فكرة اتحاد سوريا والعراق او سوريا والاردن على لا شيء . لانني اعتقد ان مثل هذه الاتحادات البدائية تمثل المعادلات الجبرية المتعددة لحل المسألة الواحدة — وهي الوحدة الشاملة .

فكيف لا ارحب بهذه الاتحادات التي لولاها لا يمكنني تأكيد الوحدة العربية ؟

احبذ فكرة سوريا الكبرى لانها فوق هذه الفكرة ، ولو انها تنفي وجوب دخول مصر ضمن هذا الاتحاد وباقي المغرب . لانني اعتقد ان « الحاجة » ستكون كفيلة لمثل

الاتحاد الشامل مع الزمن .

وافضل فكرة العروبة على كل ما ذكر لانها طريقة عملية « سريعة » للوصول الى الهدف الاسمى بالعدد الكافي ، والمقدرة والوقت المناسب .

وربما يسأل البعض : وهل رحبت بفكرة « جامعة الدول العربية » فأقول : وكيف لا .

فان فكرة « جامعة الدول العربية » برهنت لهذه الدول السبعة انها بحاجة الى اتحاد وبرهنت في نفس الوقت ان كل دولة من هذه الدول تود مراعاة مصالحها الشخصية قبل كل مصالح عامة لمنفعة الدول مشتركة .

فشلت الفكرة في بادىء الامر واقر عزام باشا سكرتيرها بالفشل ولكنه لم يقل ان سبب فشلها كان متعلقاً « بالدول السبع » ، بل قال ان سبب فشلها يتعلق بالشعب العربي اجمع لانه لا يعمل . ونسي ان مركز هذه الجامعة من الشعب العربي هي كمركز القلب للجسم .

وهل ينتظر القلب اتيان الدم اليه قبل ان يدفعه الى اجزاء ذلك الجسم ؟

اعتقد ان فشل جامعة الدول العربية سببه اسمها وعملها الحقيقي الذي يهدف الى تآلف وتعاون اطماع « الدول العربية » وليس تآلف وتعاون مصالح « الشعب العربي » وكان من الافضل لو سميت هذه الجامعة من الاساس « جامعة الشعب العربي »

ومع ذلك اقول لقد رحبت بفكرة « جامعة الدول

العربية » لانها تحمل في معناها وجوب الاتحاد من اجل القوة ، ووجوب التضامن من اجل المصلحة العامة ، ووجوب الائتلاف من اجل رفاهية الشعب .

ليست الدولة هي الدولة ، بل الدولة هي الشعب . ليست الدولة هي الحاكمة ، بل الحاكم هو الشعب . وليست الارادة للدولة ، بل الارادة للشعب .

اكون بذلك قد وجهت الانظار الى جميع الافكار لمعظم الاحزاب بأنهاليست الا فروع نهر واحد يهدف الى مكان معين ، فاذا تضامنت هـذه الفروع وتآلفت واجتمعت ، استطاعت الوصول الىذلك الهدف ، والا اذا بقيت ممتنعة عن الاتحاد لسبب واحد وهو جهل الحل الصحيح ، نشفت وضاعت قبل وصولها الى حيث تريد .

مصلحة الامة فوق كل مصلحة . والفهـم لذلك لا يأتي الا عن طريق العلم . الايمان بالعروبة ، الايمان بالامة الواحـدة ، الايمان بالاخطار المشتركة ، الايمان بالقوة يدعونا الى الاتحاد الواحد في سبيل البقاء .

ربما سألت ايها القارىء : وماذا تعني بالعروبة ؟

— يقول البعض : العربي هو كل من تكلم اللغة العربيـة . ويقول البعض الآخر : العربي هو كل من يعتز بالعروبة . ويقول آخرون : العربي هو كل مستعد للدفـاع عن فكرة العروبة . ويقول البعض : العربي هو كل من يقول انا عربي ... الى مـا هنالك . ويقولون ان العروبة هي الفكرة التي يؤمن بها العربي ،

وهي فكرة القومية الواحدة التي تولد شعور حاجة الفرد الى الجماعة . وهم يؤمنون بوجوب التضامن على غرار القوميات الاخرى التي ولدت الدول القوية امثال المانيا وايطاليا وغيرها .

يقع هؤلاء الكتاب والفلاسفة بنفس الاخطاء التي ذكرناها سابقاً واذكر في هذ السبيل اننا عندما نحدد شيئاً او ظاهرة ما ، علينا ان نفعل شيئين . اولا : ان نعد خصائص الظاهرة المذكورة العامة والمهمة التي تفرقها عن غيرها .

وثانياً : ان نعد خصائص الظاهرة المذكورة العامة والمهمة التي تجعلها ضمن المعروفات المألوفة لدى الاشخاص حتى يستطيع اولئك الاشخاص التمييز والفهم .

فالقول الاول ان كل من يتكلم اللغة العربية هو عربي ناقص ، ولا يمكن ان يكون تحديداً للعربي . فالمستشرقون يتكلمون العربية ومع ذلك لاينتمون الى الامة العربية .

يقول ساطع الحصري : « ان كل من ينتسب الى البلاد العربية ويتكلم باللغة العربية ، فهو عربي »(١) .

توصل الحصري اكثر من غيره في تحديده على انه لم يستثن المستشرقين ايضاً الذين ينتسبون الى البلاد العربية بهوياتهم كي يتمكنوا من العمل فيها . ولا اليهود القاطنين في البلدان العربية ، الذين يتكلمون لغتنا ولديهم هويات ينتسبون بها الى هذه البلدان . كذلك الارمن ، وهم لا يعتقدون انهم عرب .

---

١ - كتاب العروبة اولا صفحة ١٢ سطرا ١ .

فلو قال الحصري كلمة « الامة » مكان كلمة البلاد يصبح تحديده اقرب الى الواقع عندما نقول :

« ان كل من ينتسب الى الامة (١) العربية ويتكلم اللغة العربية ، فهو عربي » والعروبة تشمل جميع المنتسبين الى الامة العربية والمتكلمين باللغة العربية . وبذلك لانستثني العرب القاطنين في غير البلدان العربية ان شعروا هذا الشعور .

ذلك لان العروبة فكرة تعتمد على العقل والشعور ولا تتعلق بالشكليات الآنية المادية كالانتساب الى بلد من البلدان العربية .

افليس الفلسطينيون عرباً بعد ان اصبحوا لاجئين ؟

انهم عرب لانهم يعتبرون انفسهم ينتسبون الى امة عربية ، ان فكروا بذلك ام لم يفكروا .

كلمة البلدان اثبت من كلمة امة في تحديد العروبة ولكنها غير شاملة كما ذكرت . والفرق بين الكلمتين كالفرق بين معنى الجسد والروح .

يختلف الكثيرون على معنى كلمة الامة ، وعلى تخوم البلاد التي تضم تلك الامة . هذه التخوم باعتقادي هي تخوم البلدان كما عرفها الحصري ، وكثيرون غيره ، مع استثناء الاقليات غير العربية . واما معنى كلمة الامة فسوف نأتي اليها في بحث خاص .

والآن اعود راداً على الذين حددوا كلمة عربي وسوف

---

١ - سوف افسر معنى كلمة الامة في الصفحات القادمة .

ابرهن انها تعود ضمناً تاماً في التحديد السابق .

فالشخص الذي ينتمي او ينتسب الى الامة العربية ويقول : انا لست عربيا ، لايجعلنا في موقف حرج ، لان هذا الشخص شاذ ، وكذلك من لايكون مستعداً للدفاع عن العروبة . وكذلك من لايعتز بعروبته . وهو مجبر للانتساب الى امة ما ، وان لم ينتسب فهو عربي شاذ ، ولكنه عربي .

انهم شواذ لانهم وقعوا تحت تأثيرات غير اعتيادية تجعلهم ينبذون ذلك ، او تحت تأثيرات اعتيادية مغلوطة تنافي حقيقة الفائدة التي نجنيها من وحدة العروبة . او لعدم وقوعهم البتة تحت اية تأثيرات عادية او غير عادية فيكونوا بذلك جاهلين حقيقة عروبتهم .

على من ينتسبون الى العروبة ومن يعتقدون انها حق ان يحولوا دون هذه الشواذ بطريقة الاقناع المنطقي .

نعود الى التحديد ونقول : هل الانتساب الى الامة ضروري ؟

فيكون الجواب : نعم ، لان اداء الواجب لا يحصل دون الولاء الى دافع ومحفز وحامي . فالفرد في المجتمع يستفيد كثيراً من جراء وجوده في المجموعة التي ينتمي اليها ، وعليه ان يدفع ثمن هذه الافادة بالولاء الى تلك المجموعة . ومثل الذي لايهتم بهذه القضية كالسارق الذي يجني فائدة دون التعب في تحصيلها . او يكون مثله كمثل الابن العاق

الذي يترك والديه يموتان جوعاً دون ان يمـد اليهما يـد المساعدة .

نمثل ذلك الفرد « العاق » بالجـاني عـلى نفسه لانه في المثلين الاولين لا يتأثر تأثراً مباشراً ، على انه ان لم يقم بواجباته القومية جنى على نفسه وقصر في واجبه نحو نفسه . وعندما يعمـل الفرد في المجموعة لا يعمل للمجموعة نفسها ، لان كل فرد في المجموعـة يشتغل للمجموعة نفسها . وعندما نوزع الفائدة التي نجنيها من ذلك العمل المتضامن والمتكافىء ينال الفرد فائدة اكثر من العمل الذي يضعه في هذه المجموعة ، ومثله هنا كمن يزرع حبة قمح ويقتطف سنبلة .

ثم نعود الى الجزء الآخر من التحديد ونسأل : هل من الضروري ان يتكلم الشخص اللغة العربية حتى يعد عربيا ؟ فيكون الجواب ايضـاً : نعم ، ضروري . ضروري للشعور بالولاء ومشاطرة الاحوال . فالعربي الذي يسمع شخصاً يتكلم الانكليزية او الفرنسية ولا يتكلم العربية ، لا يمكنه التصديق ابـداً ان من يكلمه عربي حتى ولو كان يحبذ فكرة العروبة ويسعى جاداً الى تحقيقها .

يقع هؤلاء الاشخاص ضمن نطاق الشواذ لانهم وقعوا تحت تأثيرات غير اعتيادية او اعتيادية كالتي شرحتها سابقاً .

وبعد ان عرفنا من هو العربي وما هي العروبة نريد ان نعرف لماذا نحتاج الى الوحدة وما هي فوائدها

* * *

توصل علماء الجيولوجيا وعلماء الحفريات الى نظرية تدعى نظرية التطور من البدائي البسيط الى النهائي المعقد. واختصاراً للبحث اذكر ما وجدوه فقط.

وجدوا اولا الخلايا الحية المنفصلة التي تعتمد في معيشتها على نظام بسيط من التنفس والتمثيل. وفوق هذه الخلايا الحية المنفصلة وجدوا خلايا حية متصلة شكلياً حيث تقوم كل خلية بنفسها بجميع اعمالها. على ان هذه الخلية وجدت الامان مع غيرها من الخلايا من بنات جنسها.

وجدوا بعد ذلك خلايا متصلة اتصالا وثيقاً جعلها وحدة متكافئة تقوم بمقتضيات احوالها كمجموعة بسيطة، واخذت هذه تتطور وتزداد تعقداً وتركيباً حتى توصلت الى الحيوانات المألوفة، والانسان.

اخذ الانسان، كوحدة اجتماعية، يؤلف الجماعة دون ان يعي بدافع الحاجة، كما كان دافع الحاجة محفزاً لتعقيد تركيب تلك الخلايا الى انسجة واعضاء معقدة التركيب، كي تقوم بواجبها قياماً يقارب الكمال اكثر فاكثر.

بذلك الف الانسان العائلة، فالاقارب، فالقبيلة، فالدولة. لان الحاجة تدعو الانسان كي يأتلف مع غيره ويشاطره الاعمال لمنفعته الخاصة.

كان للدفاع عن الحمى والشرف والنفس دافع قوي في تأسيس القبيلة.

عندما عجزت القبيلة الواحدة عن الدفاع تألفت الدولة.

وعندما عجزت الدول تضامنت لتأليف دولة كبرى.

لبس هذا التضامن حلة جديدة وقوانين كفيلة بقوة هذا التضامن للدفاع المشترك والمصلحة العامة .

لذلك نعتقد اننا نحتاج الى وحدة العرب تحت حلة العروبة الجديدة والقوانين المنتقاة للدفاع ، ورد الاخطار والمفاسد التي تهدد كيان كل دويلة تعد نفسها دولة ، وللضمان الاقتصادي وتقويته ، والثقافي وتوسيعه .

نحتاج الى وحدة لان الطبيعة والبيئة تتطلبانها ، كما تطلبتها من الخلايا المذكورة آنفاً .

لا نطالب بالوحدة بموجب الشعور والعاطفة فقط بل من اجل الضرورة والحاجة . واذا حاربنا من اجل فلسطين نحارب لاهميتها الاقتصادية والاستراتيجية ، وللتخلص من الصهيوني الذي يجابهنا في عقر دارنا .

بعد ان شرحت الهدف الواحد لجميع الاحزاب الهادفة الى الوحدة وبعد ان شرحت معنى العروبة ، وبعد ان برهنت ضرورة الوحدة . اعود فاسأل : وما هي السبل لهذه الوحدة وما هي عوائقها ؟

قبل ان اشرح سبيل الوصول الى هذه الوحدة اجد اشواكاً تعترض طريقي . بعض هذه الاشواك ظاهر ، والبعض الآخر خفي . بعضها متأصل ، والآخر سهل الاستئصال السريع . والآن اذكر هذه الموانع والعوائق وطريقة التغلب عليها . ومنها :

بقايا الاستعمار .

وبما يجد البعض هذه النقطة غريبة فيقول : وكيف يمكن ان يبقى الاستعمار بعد الاستقلال التام وجلاء الجيوش ؟ فاقول : ان بقاء الجيوش ليس الا صورة الاستعمار ، اما حقيقة الاستعمار لا تعتمد على هذه الصورة . بقايا الاستعمار التي تؤثر فينا متعددة وكثيرة منها .

١ – الاستعمار الثقافي : مؤسف جداً ان نجد معظم شبابنا لا يجيدون لغتهم . لا بل يسيئون استعمالها ، بينما يجيدون اللغات الاجنبية ويتفاخرون بثقافتهم تلك . زد على ذلك ان التلاميذ في المدارس الوطنية وغير الوطنية يتعلمون تاريخ اميركا وانكلترا وفرنسا والبلاد الاوروبية اكثر مما يتعلمون من تاريخ امتهم وجغرافيتها ، فينشأ التلميذ على معرفة جيدة من تاريخ وجغرافية البلاد المستعمرة لوطنه ، فيحبها ويندفع نحوها دون ان يدري ، خاصة عندما يكون مؤلفو هذه الكتب من الاجانب .

ولا اظن من الضرورة الاستشهاد بالكتب التي تعالج هذا الموضوع لانها معروفة لدى كل تلميذ واستاذ وحكومة.

يرجع السبب في هذا التأثير الى سببين :

اولهما الاستعمار السابق لهذه البلاد . وثانيهما ، تقدم البلدان الاوروبية في مضمار المدنية اجمالا اكثر من البلدان العربية . فهم اليوم كالاستاذ بالنسبة الى البلدان العربية .

ليس ذلك عيباً علينا ،انما العيب ان نبقى تلاميذ ذلك الاستاذ النفعي الذي يأخذ منا اكثر مما يعطينا .

المعالجة لهذه الآفة الخطرة هي توحيد البرنامج الثقافي في جميع البلدان العربيـــة ، وان يكتب البرنامج باللغة العربية (خلاف البرامج المكتوبة في بعض الحكومات الحالية) وان تكون لغـة العلوم هي اللغة العربية .

يقول البعض : وهل اللغة العربية قادرة على القيام بهذه المهمة ؟ نعم ، انها قادرة . وكل من يتهم اللغة العربية بالعجز عن اداء مهمتها العلمية انما يعود ذلك لجهله بها . يمكن من يتهمها بالضعف ان يقرأ الكتب العلمية المترجمة وغيرها فيرى ان بعض التعابير العربية المستعملة انما تعبر عن الاشيـــاء اكثر من تعبير اللغات الاجنبية لها .

قال احد العلماء الاوروبيين في القرون الوسطى متمنياً يا ليت كان بامكان اللغة اللاتينية التعبير عن الاصلاحات العلمية التي يستعملها العرب في علومهم لكنا باحسن حال .

نقف ازاء اللغة العربية اليوم كما وقف ذلك العالم ازاء اللغة التي اتهمها بالضعف ، والتي نعتقد انها اغنى من اللغة العربية . كيف يمكن ذلك ، واللغة العربية موصوفة بقوة تعبيرهـــا اللغوي ؟

ربما يدعي بعض الانهزاميين : وما رأيك بالاختراعـات الحديثة ومن اين نجد لها الاسماء ؟

... نخترعها . وليس اسهل من الاختراع في الكلام !

وليست اسماء الاختراعات الجديدة الا اسماء مخترعة معها

في جميع اللغات . (١)

٢ — الاستعمار الاقتصادي : من ينكر ان البضائع الاجنبية تكتسح السوق وتترك البضائع العربية تكسد ؟ ومن ينكر ان الكثيرين يفضلون البضاعة الاجنبية دون ان يتعرفوا الى البضاعة العربية ؟ لاننكر ابداً ان الصناعة العربية لاتزال في بدء نشوئها ، ولكنها تتحسن اذا شجعناها ، ويمكن تشجيعها بالطريقة الجدية الملموسة وبطرق اخرى غير مباشرة .

يجب على الحكومات توحيد الجمارك العربية ، والتخفيف من شدة الضرائب على البضائع المحلية ، وزيادة الضرائب على البضائع الاجنبية حتى يزيد ثمنها . ليس ذلك فقط ، بل يجب على المؤمنين بواجبهم ان يشتروا البضائع المحلية ولو ضحوا بذلك قليلا .

٣ — الاستعمار السياسي : لا يزال الدبلوماسيون الاجانب يزورون زعماء العرب من حين الى آخر تحت غطاء كثيف من السرية . وان المحادثات التي تجري بينهم ، تبقى غامضة على الكثيرين من ابناء الشعب . وربما تعترض وتقول ولكن الصحافة تخبرنا بالواقع ، والاذاعة تذيع كل ما يجري في العالم العربي .

هذا خطأ .

الصحافة العربية ، مع الاسف ، لا تزيد عن كونها تجارة . فالذين يكتبون في الجرائد والمجلات يميلون مع الجانب

---

١ — ذكرت سابقاً كيفية اصلاح التعليم ، ولا يمكنني اعادته هنا .

القوي ، والقليلون منهم يعترضون ويعرضون الحقيقة . واذا عرض بعضهم الحقيقـــة على آذان الناس ، اخذ هؤلاء ينعتونهم بالمتطرفين لانهم يكتبون خلافاً لما يكتب في معظم الجرائد .

اما الاذاعات فانها حكومية والاذاعة لسان الحكومة ، فكيف تريدها ان تتكلم كل الصواب .

والجدير بالذكر هو تدخل اميركا بشؤون الشرق . صرح اكثر من سياسي اميركي واحد بوجوب الصلح مع اسرائيل . قالت اميركا مؤخراً انها هي « المسؤولة » عن سلامة الشرق الاوسط ، وهي المسؤولة عن مساعدة هذا القسم من العالم مادياً وعسكرياً ، كي يستطيع الدفاع عن نفسه تجاه اي عدوان . وقالت انها لاتستطيع التعامل مع قوتين متضادتين في وقت واحد ، ولذلك فهي تطالب « بالتجانس التعاوني » – يعني الصلح .

تريد اميركا من بـــلادنا مـا اخذته انكلترا وفرنسا « بالدبلوماسية » وليست النقطة الرابعة الا نقطة انطـلاق نحو ذلك الهدف .

هذه بقايا الاستعمار . اما العائق الثاني فهو الملكية .

الملكية في البلدان العربية ضرب من الاقطاعية التي كانت متفشية في القرون الوسطى .

تعيش الفئة القليلة في الجنة والفئة الكبيرة من الشعب في بحر من الفقر والمرض والجهل .

لماذا ؟ لانها ملكية .

لماذا ؟ لانها الاقطاعية .

افضل نوع من الحكم في البلدان العربيـة في الوقت الحاضر هو النظام الجمهوري .

كانت مصر تنوء تحت اقدام الملك والباشوات والبكوات وكانت صور الملك واتباع الملك ، وقصر عابدين تملأ صفحات المجلات والجرائد المصرية . لان الكتاب باعوا ضمـائرهم ، وجاروا الحال .

لم تمض اعوام حتى انقشع الضباب ورأى الشعب الحقيقة فكانت الثورة . ولم تتقدم مصر تقدماً محسوساً الا بعد ان استولى قادة الشعب على كرسي الحكم . فوزعوا الاراضي التي كانت تخص الاقطاعيين على الفقراء وقووا المصانـع ، وعارضوا كل محاولة من محاولات الاستعمار . فعاشت مصر لانها اصبحت مصر الشعب .

نأتي بعد الملكية الى العائق الثالث وهو :

الاحزاب الضمنية المحلية — وهي جميع الاحزاب الهادفة الى تأسيس فكرة الوحدة الاقليمية الضيقة كما هي الآن .

ولو اتيح للشباب العربي المثقف ان يقف على احوال هـذه الاحزاب ويقرأ قوانينها ، ويدرسها ، ويتعمق في ضمنياتهـا لوجد انها في غاية السذاجه والبساطة التي تدل على ضيق التفكير

وقلة المفهومية العامة .

فالطفل عند الولادة لا يحب الا نفسه ، ولا يعرف معنى كلمة الغير ، وعندما يكبر قليلا يبدأ يحب امه وابيه ، ثم عائلته ، ثم اصدقائه ، وهلم جرا . واود ان اشبه هذه الاحزاب بذلك الطفل الصغير وهو لا يزال يتدرج ويتطور في سبيل الفهم . لا نخاف من هذه الاحزاب ، سوى انها تعيق الوحدة . ولو اعطي الوقت الكافي للفهم لاعضاء هذه الاحزاب لتوصلوا الى الحل النهائي الذي نتوخاه .

اما العائق الرابع فهو :

الشخصيات السياسية النفعية : قال صلاح سالم في احدى خطاباته : « ان اذناب الاستعمار اشد خطراً من الاستعمار نفسه ، لانك لا تستطيع التمييز بين الذنب وغير الذنب . »

هذا صحيح ، فاذا شغل احد الشخصيات منصباً رفيعاً وكان من النفعيين سهل على المستعمرين جعله من اذنابهم فيتكلم بلسان حالهم « باللغة العربية » !

والكثيرون من الاذناب ساسة يستطيعون خدمة وطنهم ولكنهم يتوانون ويؤجلون اعمالهم لانهم لا يشعرون بالواجب .

وهناك عائق خامس هو :

الاتكالية وعدم الشعور بالمسؤولية : ويظهر ذلك في الدوائر الحكومية والمدارس والبيوت وكل مكان . حتى وفي ارقى الاوساط الجامعية ، في الاوساط التي ستخرج رجال المستقبل وساسة البلاد وحكامها ومديري اعمالها .

هذه هي العوائق ، او بعضها ، التي تقف في سبيل نجاح اهداف القومية ، وتحقيق الوحدة ، وتكوين امة متضامنة متماسكة قوية تهز الكيانات الهزيلة امام عظمتها .

* * *

لم نفرق حتى الآن بين كلمات القومية والامة والدولة. لذلك نرى من المناسب تحديد كل منها وتبيان العلاقات والفواصل بينها .

ذكرنا في السابق معنى القومية وكيف تطورت حتى تكونت واصبحت فكرة يدين بها معظم العالم الآن . بلغت فكرة القومية اوجها بعد الثورات الانكليزية والفرنسية والحرب البولونية .

كانت اوروبا باجمعها تتجه نحو القومية خلال القرن التاسع عشر . والذي سبب هذا الشعور القومي هو الحاجة الى مصلحة اعم لاول القوميات الناشئة ، ثم لمصلحة اعم او لمنافسة القوميات الاخرى للقوميات التي اتت بعدها .

اتصفت هذه القوميات بالوان شتى من الفلسفات حتى جرب بعض الفلاسفة جعلها رابطة دم ، ونجحوا الى حد ما . وجرب آخرون ، كما فعل الالمان بدعم قوميتهم بالعنصرية فادعوا ان السلاله الآرية هي ارقى السلالات في العالم واقواها ولذلك وجب على الالمان المنحدرين من هذه السلالة ترقية باقي السلالات وتعليمها كي تصبح في درجة عليا من العلم والفهم .

لم تقف فكرة العنصرية عند هذا الحد بل اصبحت فكرة تتحـــدى باقي الفكر واصبحت متعصبة كفكرة الدين ، فتناحرت مع غيرها حتى انطلقت شرارة الحرب .

تؤدي العنصرية ، كما اثبت التاريخ ، الى الحروب لانها تتعصب لآرائها ولا تفتح مجالا للنقاش ، وهذا هو عيبها .

اما اذا اردنا تحليل هذه الفلسفة من الوجهة العلمية نجدها خطأ لا تعتمد على العلم بل على الشعور .

اخذ علماء الفيزيولوجيا بالاشتراك مع علمـاء الاجـتماع يمتحنون مدى صدق هذه النظرية ، وتوصلت بهم الابحـاث انها خطأ ، لا تعتمد على الصحة بشيء .

اثبتوا ان ما توصل اليه الالمان من تقدم صناعي كان اكثره نتيجة للبيئة والحاجة . وان فكرة العنصرية لا تزيد عن كونها غروراً يدفعه الشعور بالانانية .

نجحت فكرة العنصرية لانها اقرب ما يكون الى الغرور بالنفس الذي يندفع اليه الشخص بسهـولة . ففكرة العنصرية اذن ونظرية قرابة الدم خطأ لا يمكننا الاعتماد عليها ولو اعتمد عليها غيرنا .

ولكن ، كيف يمكننا بناء قومية دون الاعتماد على شعور يدعمها ؟

فاقول يمكننـــا بناء تلك القومية عـلى غير الشعور اذا استطاعت الاكثرية ان تفهم معنى افادة المجتمع ومن جرائـه افادة الفرد بعد الوصول الى الاهداف المتوخاة . ولكن هذا

صعب جداً . فان الاكثرية لا تفقه معنى كلمة المجتمع ، ويجب امدادهم بفكرة يهدفون نحوها .

وهنا على القادة ان يكونوا لبقين في ادارة التوجيهات الى هذه الاكثرية . واعد هذا من اختصاص قادة الشعب حيث يوجهونها لمصلحة المجموع . فالتخدير ضروري احياناً لاستئصال الامراض الاجتماعية والسعي بالامة نحو الامام .

اذا تقدمنا من الشعب وافهمناه ان الحاجة تتطلب منا ان نتحد وان الاتحاد في هذه الحال قوة ، نفشل امام الاقليمية الضيقة التي يمكن تفهمها على نطاقها الضيق . اما الاكثرية المتعلمة فقد تفهم ذلك وتسعى في سبيله نحو الهدف المرسوم وتنعت الاقليمية بالرجعية .

واذا نظرنا الى الدول القائمة الآن نجد انها اعتمدت فيما مضى على فلسفة لها علاقة بالشعور القومي اكثر منها بالوعي القومي الناتج عن تحكم العقل . ولا بد من شعور يدفع القوميين نحو هدف مرسوم . وهذا الشعور يعتمد على فكرة العروبة .

نعتقد اننا عرب لان الاكثرية الساحقة منا هم عرب نعتقد بوجوب الوحدة لانها ضرورة وليس لانها واجب فقط . ضروري ان نتحد كي نحتفظ بكيان كالذي احتفظ به باقي العالم ، والا بقي كل منا ، والمدعو بالعربي محتقراً في باقي البلاد .

يعتمد الاعتقـاد السائد اليوم ان تقدم البلاد في جميع وجوهه يتعلق بتقدمها السياسي.

سياستنا ان نوحد قوانا لنواجـه القوى الاخرى والا تكالبت على قوانا تلك الدول واستغلتها كما فعلت اسرائيل. علينا ان نتحد لاننا بحاجة الى الاتحاد .

يمكننا الاتحاد بعد ان تعرف الاقلية ضرورة الاتحاد وبعد ان تشعر الاكثرية بوجوبها لاننا عرب ، ولا بد من وجود شعور يـدعم الفكـر في سبيل الوصول الى الهدف السوي .

والآن ، ما هي علاقة الامة بالقومية ؟

الامة هي جماعة من الناس يشعرون بانهم قوم واحد ويشعرون بوجوب الخضوع لقوانين صالحة لحمايتهم. نعرف الامة اذن بانهـــا قوم يشعر بوجوب الوحدة ثم يعمل لها، والقومية هي الفكـرة التي توجـــه القوم نحو هدف وهو الأمة .

اصبحت القومية حسب هـــذا التعريف وسيلة ، واصبحت وحدة الامـــة غاية . يعمل القوميون اذن كي يصبحوا أمة متضامنة ، وفي طريقهم للوصول الى هذه الغاية يضعون دستوراً وقوانين يتمشون عليها .

تكون هذه القوانين الموضوعة اما نتيجة للتراث الانساني الجامع ، او نتيجة لعـادات وتقاليد ذلك القوم او خليطاً من الاثنين . يكون هذا الدستور عاملا فيهم يدفعهم نحو

السبيل المرسوم ، وان اخطأوا غيروا بعض هـذه القوانين حتى يصلوا الى الاصلح وبذلك تعمل القومية لتجعل تماثـلا وانسجاما بعد تفاوت واختلاف مصدرهما الجهل والتعصب .

بعد ان تتحقق اهداف القومية في بناء الشعور القومي لتكوين الامة ، يحتاج القوميون الى آلة تدير امورها . آلة يصطنعونها بانفسهم . وهذه الآلة تدعى الدولة .

تعيش الامة عادة اكثر من الدولة ، لان الدولة صناعية وترتكز على دساتير وقوانين خاصة يجب تغييرها مع الزمن . بينما تتكون الامة سع الشعور الانساني الذي يتناقله الجيل بعـد الجيل . وباستطاعتنا القول ان الدولة كيان يثبت لمدة من الزمن ويغيره افراد الامة بتطورهم ، وعندما يعجزون عن تطوير دولتهم بتطورهم ، او اذا كان تطورهم بطيئا يجعل الامم الاخرى سابقة في معظم المضامير والمجالات الحياتية ، تضعف وتسقط .



اللاجىء الشيخ

على رمال حرة قبع الشيخ الجليل امام خيمته ينظر الى السماء البعيدة ، ينظر الى الارض التي عشقها واستمات في سبيلها .

على تلك الرمال جلس الشيخ مفكراً بمصير ابنائه الذين لم يترك لهم شروى نقير ، اين يعيشون ...؟ ماذا سيفعلون ؟ وماذا في القدر ....؟

ينظر في الافق البعيد فوق سماء بلاده فيرى علماً يرفرف كانما يذكره بالهزيمة والخذلان . .

يذكره ذلك العلم بالعار الذي لحقه ، والثأر الذي ينتظره ولكن . . . هل له ان يثأر وقد اصبح شيخاً متشائماً ناقماً على الحياة ، ناقماً على الناس ؟ هل يفكر بالثأر بعد ان جاع وبرد واستمات في سبيل لقمة العيش ؟ هل يعيش ذلك الشيخ لغده كما يعيش ليومه ، ام ينظر الى مستقبل زاه والى العز والكرامة ؟

وبالقرب منه جلست زوجته على « تلك الرمال » والطفل الرضيع بين يديها وقد سهت عن مهمتها في ارضاع طفلها . . فجاع .

انها تفكر كزوجها في المصير ، تفكر في بيتها الذي تركته لليهود يعبثون به . تفكر في ارضها التي تركتها مرتعاً خصباً للمغتصبين . انها لا تدري لماذا حل بها ذلك ولكنها

تعلم انه الاغتصاب . تعلم انه استهتار بحقوقها وحق الحياة الكريمة .

هناك امل واحد : وهو ذلك الطفل الجائع ، ذلك الطفل الملفوف بالخرق البالية التي تتبرع بها هيئة الامم ، ذلك الطفل الذي لا يفقه معنى الوجود .

يرى الشيخ نفسه متقمصاً في نفس ذلك الطفل الصغير وكانه ابن البارحة ، ولكنه يعود ويحس ببرودة الشيخوخة ... فيسكت .

مهلاً ايها الشيخ ، لن تكون المحارب . . . ولن يكون الطفل الصغير هو المحارب . . . فالمحارب هو الشباب . سوف يأخذ الشباب عنك مرارة الخذلان وحلاوة الانتقام وسوف يأخذ عن طفلك البراءة .

وانت ايتها اللاجئة غذي ابنك واطعميه وعلميه حب الوطن ، والايمان في الاستماتة في سبيله . . . لانك حتماً سترجعين الى الارض الطيبة التي تصبين اليها مكرمة معززة وسوف تشهدين نشوة العز والانتصار . .

محتويات الكتاب


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT